الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف -ميلة-
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:...../2021

كتاب رسائل أبي الفضل بديع الزمـــان الهمـــذاني
دراســـة تصنيفيـــة موضوعاتيـــة

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
آسية بورويسة
تفاحة بوخميس

إشراف الأستاذ:
عمـار قرايري

دعـــــــــاء

بسم الله الرحمان الرحيم

قالى تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ سورة اليقرة: آية 286.

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

الحمد لله باسمه نعتصم وبحوله نستوعظ ، وببركاته نستهدي سبحانه لا يحصى ثناء عليه فحمدا له في الأول والآخر ملهم الصواب وولي التوفيق اللهم لك الحمد وموفور الشكر على ما حظينا به من نعمة التوفيق والهداية التي أنارت لنا السبيل وذللت لنا الصعاب وأعانتنا على تقديم هذا العمل المتواضع فإن فاتنا أجر الإصابة فلا أقل من أجر الاجتهاد

كما أنّه من لم يشكر النّاس لم يشكر الله تعالى

لذا نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذنا المشرف الدكتور/ **عمار قرايري** بقبول الإشراف على هذا الموضوع والذي أفادنا كثيرا بتوجيهاته ونصائحه القيمة والسديدة وكل ما لزمنا لإخراج هذه المذكرة على هذا النحو ، فكان خير مرشد وخير معين حفظه الله وجزاه خيرا عنا .

كما لايفوتنا أن نتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين على ما بذلوه في تقويم هذا البحث وتسديده .

وإلى كل أساتذتنا في قسم اللغة والأدب العربي ، وإلى كل زملائنا وزميلاتنا ، وكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد سائلين الله العون وحسن المثوبة والله ولي التوفيق.

مقدمـــــــــــة

كان للقدماء من النقاد والدارسين والبلاغيين اجتهاداتهم في دراسة الموروث الشعري والنثري ، فقد كانت عنايتهم بالشعر تفوق عنايتهم بالنثر مهما بلغ من الجودة والإتقان ، وإذا كان الشعر قد اشتمل على فنون ومذاهب كالمدح، والهجاء، والرثاء، فإن النثر أيضا له فنونه ومذاهبه، وأنّ الحديث عن الأجناس الأدبية التي عرفها النثر يمكن أن يقودنا إلى الحديث عن أدب الرسائل ، هذا الأدب الذي تبوأ منزلة رفيعة في مختلف العصور حيث تغلغل في مختلف ميادين الحياة للتعبير عما يجول في خاطر الأشخاص من آراء وأفكار كما تعتبر أداة وواسطة التواصل على مر العصور، لذلك كان فن الرسائل من الفنون الراسخة في التراث العربي .

يأتي هذا البحث الموسوم بعنوان : **كتاب رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني دراسة تصنيقية موضوعاتية** محور الدراسة، وللرسائل أهمية كبيرة خصوصا في القديم، إذ كانت من الأجناس القلائل لتبادل الأخبار والمعلومات وإعطاء الأوامر المتعلقة بالسلطة وغير ذلك .

ويقوم هذا البحث أساسا على مجموعة من التساؤلات والتي تمثلت في :

- كيف قام الهمذاني بانتقاء ألفاظ رسائله ؟
- وكيف حرص على توليد الصور المختلفة فيها ؟
- لمن وجهت هذه الرسائل ؟ وما الهدف منها؟

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع أن الهمذاني معروف في الجانب النثري بالمقامات ومن خلال اطلاعنا ودراستنا وجدنا أن لديه رسائل عديدة في هذا الجانب النثري، فأردنا معرفة هذه الرسائل ومضامينها، وكذلك من أجل إبراز أهم الأغراض التي تحتوي عليها الرسائل وبالأخص رسائل الهمذاني، بالإضافة إلى قلة الدراسات حول هذا الجنس النثري وكذا ميلنا اتجاه هذا الفن النثري القديم .

وقد كانت هناك دراسات عديدة عالجت موضوع الرسالة ولكن كل من زاوية معينة لكننا في حدود علمنا أنها لم تتناول الجانب التصنيفي الموضوعاتي للرسائل، ومن هذه الدراسات نذكر : كتاب بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية للدكتور لمصطفى الشكعة .

وقد اعتمدنا على المنهج التصنيفي الذي يقوم على تصنيف الرسائل وأهم أغراضها مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى كلما دعت الضرورة إلى ذلك (المنهج التاريخي، المنهج التحليلي)، وقد جاء البحث مشكلا من فصلين وخاتمة .

أماّ الفصل الأوّل فكان بعنوان : **حياة الهمذاني وفن الرسائل** تحدثنا فيه عن الهمذاني ومفهوم الرسائل ، ونشأتها ، وأنواعها ، بالإضافة إلى بنيتها والروافد التراثية فيها .

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان : **الدراسة التصنيفية الموضوعاتية لرسائل الهمذاني** وانهينا بخاتمة ضمنّاها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع أهمها:

– كتاب : بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية للدكتور لمصطفى الشكعة، كتاب الأدب الجاهلي تاريخه وقضاياه للدكتور زكريا النوتي، كتاب الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه أعلامه وفنونه للدكتور غازي طليمات، كتاب أدب صدر الإسلام للدكتور واضح الصمد، وكتاب أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين للطاهر توات .

ولا يخل بحثنا من صعوبات جمع المادة الأدبية صادفتنا ومن ذلك افتقار هذا النوع من الدراسة للمادة العلمية التي تثري وتخدم هذا الموضوع، وكذا ضيق الوقت المخصص لإنجاز هذا البحث .

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة، والأستاذ المشرف : **الدكتور عمار قرايري** الذي كان موجها وناصحا، ولم يبخل علينا بأي معلومة، كما نتوجه بشكرنا إلى جميع أساتذة معهد اللغة والأدب، والزملاء الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم ، كما نرجو أن يكون هذا البحث نقطة تفتح أمام الطلبة والباحثين أبواب الدراسة والتحليل .

ونسأل الله أن يوفقنا لأحسن القول والعمل، فإن كنّا قد وفقنا فهذا غاية ما نرجوه ولله الحمد والشكر، وإن شاب عملنا نقصان فتلك طبيعة البشر ولله وحده الفضل والكمال .

الفصـــــــــــل الأوّل

الـهمذانـــي وفن الرسائل

الفصـــــــل الأوّل: الهمذاني وفن الرسائل

(تعريف الرسائل، نشأتها، أنواعها، بنيتها وروافدها)

المبحث الأوّل : الهمذاني وتعريف الرسائل

أولا: حياة الهمذاني

ثانيا : تعريف الرسائل

أ- لغة

ب- اصطلاحا

المبحث الثاني : نشأة الرسائل

أ- في العصر الجاهلي

ب- في العصر الإسلامي

جـ- في العصر الأموي

د- في العصر العباسي

المبحث الثالث :أنواع الرسائل

أ- الرسائل الديوانية

ب- الرسائل الإخوانية

جـ- الرسائل الأدبية

المبحث الرابع : بنية الرسائل والروافد التراثية فيها

أولّا : بنية الرسائل

أ- بنية المقدمات

ب- صيغ الانتقال إلى أغراضها

جـ- بنية الخواتم

ثانيا : الروافد التراثية في الرسائل

أ- الرافد الديني

أ1- القرآن الكريم

أ2- الحديث الشريف

ب- الرافد الأدبي

ب1- الشعر

ب2- المثل والحكمة

جـ- الرافد التاريخي

المبحث الأول: الهمذاني وتعريف الرسائل

أولا: حياة الهمذاني

أ – مولده ونشأته:

هو بديع الزمان أبو الفضل ابن الحسين الهمذاني ولد في همذان سنة 348ه من أسرة عربية ذات علم وفضل ومكانة مرموقة، أخوه الحسين ابن يحي كان مفتي البلدة وكانت مدينة همذان من البلاد التي للعلم فيها نصيب وللأدب فيها ازدهار وهي مدينة مشهورة من مدن الجبال ذات تاريخ قديم يقال عنها دان أهلها أعذب الناس كلها وأحسنهم خلقا وألطفهم طبعا، ومن خاصيتها أن لا يكون بها حزينا ولو كان ذا مصيبة، وهي أول عراق العجم، وبديع الزمان عربي الأصل سكن أهله ديار العجم شأنهم في ذلك شأن كثير من العرب الذين استوطنوا الأرض الإسلامية وهو يتعصب للعرب على غيرهم.

تتلمذ بديع الزمان لأحمد بن فارس ونهل من فيض علمه، كما تتلمذ لابن لال وابن تركان وأبي بكر بن محمد بن الحسين الفراء ولم يكتف بالتوفر على علوم اللغة والأدب بل أقبل على دراسة الحديث والرواية حتى أصبح كفة في هذا الفن.[1]

وكلامه كله عفو الساعة، وفيض البديهة ومسارقة القلم ومسابقة اليد وجمرات الحدة وثمرات المدة ومجارات الفاطر للناظر ومبارات الطبع للسمع[2].

ب– حياته في أصبهان

دخل بديع الزمان الهمذاني أصبهان سنة 380ه وهي مدينة جميلة اتخذها الصاحب ابن عبادة عاصمة بني بويه وكانت رائعة الحسن فائقة التنسيق بهيجة المناظر بساتينها كثيرة وقصورها عدلية وجداولها جارية وربيعها جميل منور، وفواكهها مختلفة الأنواع

---

[1]- الشكعة مصطفى،بديع الزمان الهمداني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية مع دراسة لحركة الأدب العربي في العراق العجمي وما وراء النهر، بيروت 1983م،ط1،ص156.

[2]– الثعالبي أبو منصور، عبد المالك النيسابوري، يتيمة النهر في محاسن أهل العصر،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1983،4م، ص293.

وشتاؤها مثلج تتوهج ثلوجه هامات الجبال مما ألهم أدبائها الشعر الرقيق في وصف الطبيعة ومفاتن أصبهان[1].

أقبل "بديع الزمان الهمذاني" إلى "أصبهان" وتلك حالها من النعمة تموج بالشعراء وتتضوع بالأدباء وهو لذلك أهل فقد كان الصاحب في ذلك يميل إلى الأسجاع والإغراب والأحاجي وبديع الزمان بطل في ذلك الميدان فمن ذلك:" أنه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط وهو كثر من خمسين بيتا إلا مرة واحدة فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفا"[2] دخل بديع الزمان إلى حلبة شعراء الصاحب وهذه من العبقرية والذكاء فرأى الصاحب ذات يوم أن يمتحن فيه هذه المواهب وتصادف أن دخل عليه شاعر فارسي اسمه "منصور الرازي المنطقي " وانشده قصيدة فارسية في وصف شعر المحبوب وكان "ابن عباده"يولع بالشعر الفارسي ولوعه بالشعر العربي وكان من بين الحاضرين "بديع الزمان" فأوعزها إليه الصاحب أن ينقلها إلى العربية شعرا مشترطا عليه التزام بحر بالذات وقافية بعينها وهما "بحر السريع وقافية الطاء" فصدع البديع بالأمر ونطق بالفور :

سرقت من طرته شعرة حين غدا يمشطها بالمشاط

ثم تدلجت بهـــا مثقل تدلج النمل بحب الخيـــاط

قال أبي من ولدي منكما كلاكما يدخل سم الخياط [3]

لم يطل "بديع الزمان"بحضرة "الصاحب" بل تركها موليا وجهه شطر "جرجان".[4]

ج- حياته في جرجان:

غادر "بديع الزمان" أصبهان" متوجها نحو الشمال إلى "جرجان" وهي بلدة لها من العلم والفضل لنصيب غير منكور، وفيها نشأ "عبد القاهر الجرجاني" صاحب "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وعاش فيها في القرن الرابع(4)، و"عبد العزيز الجرجاني" صاحب

[1]- الشكعة مصطفى، بديع الزمان الهمداني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية مع دراسة لحركة الأدب العربي في العراق العجمي وما وراء النهر، بيروت 1983م، ط1، ص160.

[2]- المرجع نفسه، ص161.

[3]- المرجع نفسه، ص162.

[4]-المرجع نفسه، ص 163.

"الوساطة " بين المتنبي وخصومه، فلم يكن غريبا من "البديع" يمم وجهه شطر هذه البلدة الطيبة وفيها أقام في كنف "أبي سعد محمد بن منصور" وعاش على مداخل الإسماعيلية واستفاد من علمهم واقتبس من أنوارهم.[1]

ومن المعروف أن "جرجان"كانت عاصمة للأمر"شمس المعالي قابوس بن وشمكير" في الثلث الأخير للقرن الرابع وكانت نتيجة لذلك أن ذهب بعض الأدباء ممن أرخو "لبديع الزمان" إلى أنه اتصل "بقابوس" في "جرجان"، ومثال ذلك ماذكره أحد الدارسين في سلسة من المقالات عن "بديع الزمان حيث قال ما نصه:" والظاهر أن إقامة بديع الزمان بأصبهان لم تكن طويلة فإنه سرعان ماغادرها ولوح إلى "جرجان " إذ اتصل بشمس المعالي قابوس

أمير الدولة الزيارية، ذلك الأديب الخطير الذي شهد بفضله القاصي والداني ونال من فيضه كل من وصل إلى ورده، وكان بديع الزمان أحد المعترفين منا بفضله".[2]

وهذا الرأي لايستقيم مع الوقائع التاريخية لأن"قابوس"هرب من "جرجان" سنة371هـ وقد غضب عليه أخوه عضد الدولة فأرسل هذا الأخير جيشا إلى "جرجان" وفتحها وهرب"قابوس"إلى خرسان"وأقام بها مدة ثم تركها بعد ذلك.

أما ما كان من مراسلة "بديع الزمان" للأمير "قابوس" فقد حدث فعلا وديوان الرسائل يؤيد ذلك ولكن أغلب الظن أن هذه المراسلة حدثت في خرسان حيث أقام قابوس مدة بها في أول عهده.

ولا نلبث نجد "بديع الزمان" يهجر "جرحان" لخلاف بينه وبين"أبي سعيد الإسماعيلي"[3].

د- حياته في نيسابور:

دخل "بديع الزمان الهمداني" نيسابور سنة 382هـ وهي أحسن مدن خرسان وأعظمها وأجمعها للخيرات، وكانت مجمع العلمان وملتقى الفضلاء، وهي على أبواب الإقليم بين

1-الشكعة مصطفى:بديع الزمان الهمداني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص165.

2-المرجع نفسه، ص156.

3- المرجع نفسه، ص167.

المشرق والعراق وكثيرا ماكانوا يقيمون فيها بعض الوقت حتى تتهيأ لهم سبل الانتقال والارتحال منها إلى البلد الذي يريدون التوجه إليه[1]

فقد إستهوت هذه المدينة ببريقها أنظار "بديع الزمان" فأقبل عليها وكله آمال، خاصة وأنه كان يعيش فيها في ذلك الوقت شيخ عصره في علوم اللغة والبلاغة وأيام العرب وأمثاله.

"أبو بكر الخوارزمي" الأديب الذائع الصيت الذي طرقت آدابه أسماع الزمن وأعجب الناس برسائله وشعره، وكان "البديع" شديد الرغبة في الاتصال به معلقا لقائه الأماني الكبار راغبا في عمله طامعا في كرمه، والمهم أن "بديع الزمان" التقى بالخوارزمي فلم يحسن الثاني لقائه ولم يعجبه منه تكبره وبخله، وكان البديع على جانب كبير من إباء النفس وعلوم الهمة فصارح الخوارزمي من برأيه فيه فحصلت بينهما عداوة وبغضاء وأخذت أسباب العداوة للأديبين مناظرة استعمل فيها "بديع الزمان" سرعة بديهته ونفاذ قريحته فبدا الخوارزمي منهزما أمام الناس[2] بينهما تنمو فتنة القطيعة تزداد حتى اتغلها بعض الناس وباركوا في هذه القطيعة.

لمع اسم "البديع" في نيسابور بعد المناظرة وطار صيته في الآفاق واتصل بكثير من أعيان المدينة أمثال "أبي نصر بن المرزوبان" ولا شك أن قد فتن به قوم كثيرون والتف حوله تلاميذ عديدون على أن إقامة "البديع" في "نيسابور" لم تطل كثيرا سرعان ما غادرها متجها إلى أقصى المشرق بعد أن أملى فيها جانبا من أمجد آثاره من رسائل ومقامات[3]

هـ_ حياته في أقصى الشرق:

ترك "بديع الزمان" "نيسابور" تلك المدينة الجميلة الساحرة الزاخرة بالعلم والفضل ورغم اشتهار أمره بها وعلو ذكره فيها لخلافه مع "بني ميكال" فضلا عن حبه للتنقل ورغبته

1-الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص168.

2- المرجع نفسه، ص172.

3- المرجع نفسه، ص173.

في الارتحال متجها إلى "ساجستان"، وكان أميرها في ذلك الوقت الرجل الفاضل الأديب الأمير"خلف بن أحمد" فتلقى منه "بديع الزمان" كل التكريم والإجلال وأهدى إليه مقاماته [1].

وأغلب الظن أن إقامة "بديع الزمان" قد طالت بعض الوقت في "ساجاستان" لما عرف عن أميرها من حب للأدباء والشعراء، ولكن "البديع " شديد الحساسية المعتز بكرامته لا يلبث أن يغضب من الأمير بعد أن وجه إليه رسالة شديدة، وهكذا يغادر " البديع" "ساجستان" إلى بلاد أخرى يجوب حواشيها ويطوف في ربوعها إلى أن يصل إلى "غزنة" وهي عاصمة السلطان" محمود بن سبكتكين الغزنوي"[2]

والواقع أن الفترة التي عاشها "بديع الزمان" وتنقل فيها بعد خروجه من "نيسابور" سنة 383هـ يكتنفها كثير من الغموض حيال تحركاته فلم يذكر المؤرخون السنة التي اتصل فيها "بديع الزمان" بالأمير "خلف" ولا تاريخ مفارقته له وكذلك الأمر فيما يخص اتصاله بالسلطان "محمود" وإن كنا نستنتج أنه اتصل بالسلطان المذكور سنة 389هـ أو قبلها بقليل لأن له رسالة كتبها بمناسبة هزيمته "السمانيين" بباب" سرخس"، فإذا ما عرفنا أن هذه الموقعة حدثت سنة 389هـ أمكننا أن نستنتج أن البديع قد اتصل بالسلطان "محمود" قبل ذلك التاريخ، على أن مغادرة "البديع" "لغزنة" حيث بقى السلطان "محمود غير معروف إلا أنه غادرها على كل حال متجها إلى" هرات" ويبدوا أن طبيعة "هرات" وجمالها وخيراتها قد استهوته فأقام فيها

وتزوج من ابنة "أبي علي الحسين ابن محمود الخشتاني" أحد سادة المدينة وأعيانها فحسنت حاله واقتنى مالا وضباعا وأنجب أولادا[3].

1- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية ، ص174.

[2]– المرجع نفسه، ص174.

[3]- المرجع نفسه، ص174- 175.

و_ أخلاق الهمذاني ومواهبه:

كان "الهمذاني مقبول الصورة، خفيف الروح ناصع الظرف، ذكر القلب، قوي الحافظة، كان يترجم ما يقترح عليه من الشعر الفارسي إلى الشعر العربي فيجمع بين الإبداع والإسراع[1] إلى عجائب كثيرة لا تحصى ولطائف يطول أن تستقصى[2] .

ز_ نثره وشعره:

نثر البديع يستهوي القلوب ويملك الشعور وكله من قبيل الشعر المنثور وللصناعة تأثير فيه، مع أنه جار مجرى الطبع، لم يفسده تكلف ولم يبهمه تعمق وقد جمع كلامه بين مكانة اللفظ ورشاقة المعنى وجمال العبارة ، ودقة التخيل، وقد تصرف هذا الكاتب في فنون الترسل وتفنن في ضروب الرسائل، وله كذلك شعر رقيق لم يبلغ من الجودة مبلغ نثره لأن الجمع بين حسن النظم وحسن النثر قلما يتفق لأحد[3].

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو انشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرع منها في الوقت والساعة والجواب عنها.

و_ وفاة بديع الزمان الهمداني:

اتفق المؤرخون على أن "بديع الزمان" توفي في "هرات" سنة 398هـ ويذكر "ابن حلكان رأيين في وفاته:

الرأي الأول: أنه مات مسموما

الرأي الثاني: ويشاركه فيه كثيرون من مؤرخي الأدب هو أنه أصيب بغيبوبة فظن أنه مات وعجل بدفنه فأفاق في قبره وسمع صوته في الليل فنبش عنه فوجد ميتا من هول القبر وقد أمسك لحيته بيده وهكذا ودع الحياة أديب شاب خلد ذكره بآثاره الرائعة بعد أن أسدى إلى لغته وقومه تراثا مجيدا من درر الشعر وجواهر النثر بين قصة طريفة أو مقالة بليغة.

---

[1]– الزيات أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي: د.ط، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهر، ص143.

[2]– الثعالبي أبو منصور عبد الملك النيسابوري: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1983م، ج4، ص293.

[3]– المرجع نفسه، ص243.

ي_ أهم مؤلفات الهمذاني

1) رسائل مجموعة في كتاب يعرف برسائل بديع الزمان طبعت في الأستانة سنة 1298 وفي بيروت سنة 1890م.
2) ديوان شعر: منه نسخة خطية في مكتبة باريين وقد طبع بمصر سنة 1321م.
3) مقامات تعرف باسمه، وهي أقدم كتاب وصل إلينا في هذا الفن عن فنون اللغة، وهو من وفاه حقه وجعله علما، وقد اقتبس نسقه من أستاذه ابن فارس اللغوي، وعنه أخذ الحريري نسق مقاماته طبعت المقامات في الأستانة سنة 1298م ثم في بيروت مشروحة شرحا مختصرا للشيخ "محمد عبده" سنة 1889م [1].

تعد مقاماته أفضل آثاره، إذ بلغنا منها إحدى وخمسون مقامة ذات موضوعات متعددة[2].

ثانيا: تعريف الرسائل

تعد الرسائل ضربا من ضروب النثر عمادها القلم، وقد نشأت وتطورت واحتلت مكانة مرموقة في الأدب العربي على مر العصور باختلاف أنواعها وتعدد مجالاتها بتعدد مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية.

أ) لغة:

جاء في لسان العرب "لابن منظور قال: "الترسُل من الرِسْل في الأمور والمنطق كالتمهل والتوقر والتثبت وجمع الرسالة الرسائل.

والترسل في الكلام التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدا، والترسل في الركوب: أن يبسط رجليه على الدابة حتى يرخى ثيابه على رجليه حتى يغشيهما، قال: والترسل في القعود أن يتربع ويرخي ثيابه على رجليه حوله، والإرسال: التوجيه وقد أرسل إليه والاسم والرسالة والرسول والرسيل[3].

---

[1]- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر. القاهرة، سنة 2012، ص700.

[2]–سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان،سنة 2011، ص133.

[3]– ابن منظور: لسان العرب ، ط1، ضبط نصه وعلق على حواشيه خالد رشيد القاضي، دار صبح أديسوفت، بيروت لبنان، 2006م،ص205.

الرسالة هي الكلام الذي أرسل إلى الغير، وخصصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية، والفرق بينها وبين الكتاب على ماهو المشهور فإنما هو بحسب الكمال والنقصان، فالكتاب هو الكامل في الفن والرسالة غير الكامل فيها[1]

والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه، وفي قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ سورة النساء آية 153، فإنه يعني صحيفة فيها كتابه 2.

وقد ورد الكتاب بمعنى الرسالة في قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ سورة النمل آية28،29.

كما ورد التعريف اللغوي للرسالة في كتاب: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم للدكتور"مصطفى البشير قط" عن كتاب " البرهان في وجوه البيان لابن وهب" إذ حدد أصل اشتقاقها ومعناها بقوله: والترسل من ترسلت أترسل ترسلا، وأنا مترسل كما يقال: توقفت بهم أتوقف توقفا، وأنا متوقف لايقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل، كما لا يقال تكسر إلا فيمن تردد عليه اسم الفعل في الكسر، ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة: أرسل يرسل إرسالا وهو مرسل، وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به من بعيد فاشتق له اسم الترسل ، والرسالة من ذلك"

فالرسالة: اسم مشتق من راسل يراسل مراسلة ويطلق على الكلام الذي يراسل به من بعد وغاب، واشتق منه اسم "الترسل" ومنه سمي صاحبه "مترسل" وهو من عرف بهذا الفن واشتهر به3.

تعتبر الرسائل ضرب من ضروب النثر، وإذا كانت الخطابة عمادها اللسان فإن عماد

1-حسني عبد الجليل: الأدب الجاهلي في قضايا وفنون ونصوص ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة2011م ص516.

2- المرجع نفسه، ص516.

3- مصطفى البشير قط: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، د.ط، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع الأردن، عمان، 2009م، ص118.

الرسائل القلم، ولم يكن العرب في الجاهلية من أرباب الكتابة، ولكنهم عرفوها ولم يستخدموها بالمعنى الذي نفهمه لأننا لم نقع على رسالة أدبية واحدة نطمئن إلى صحتها ذلك أن العرب لم يتركوا دليلا ماديا مدونا سواء كان تاريخيا أو أدبيا .

ومن خلال هذه التعاريف نجد أن مفهوم الرسالة من خلال المعجم أو الكتب يكاد يكون واحدا يدل على إرسال شيء من طرف مرسل إلى طرف آخر مستقبل.

ب_ الرسائل اصطلاحا:

جاء في تعريف الرسائل أو الرسالة في الاصطلاح عن "أبو هلال العسكري"في كتاب الصناعتين كما يلي:" واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لايلا حقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل[1].

– ويعتقد أن الرسالة يعدها: " وسيلة التخاطب، فإنها تبدو بديلا عن الأقوال التي يمكن أن يتبادلها متخاطبان أثناء الحوار"[2]

– تعد الرسائل من فنون النثر التي حفلت بها صناعة الكتابة وقد تنوعت أشكالها [3].

كانت كتابة الرسائل عند العرب أفضل مراتب الكتابة، وأعلى مناصب الوجاهة وهذا من سبب كاف جعل الكتاب والأدباء يتوفرون على تزيين رسائلهم وتنميقها حتى أصبحت أهم الأجناس الأدبية التي تبين قدرة الأديب الفنية، وعنوان براعته الأسلوبية، ومعرض لشخصيته الأدبية.[4]

أما "التهانوي" فيعرفها في كتاب موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم بقوله:

" في الأصل، الكلام الذي أرسل إلى الغير، وخصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية والفرق بينها وبين الكتاب على ماهو المشهور إنما هو بحسب الكمال

1– مصطفى البشير قط:مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ص119.

2– المرجع نفسه، ص119.

3– سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2011، ص185.

4–عبد الحليم حسين الهروط: النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع،2013، ص43.

والنقصان، والزيادة والنقصان، فالكتاب هو الكامل في الفن والرسالة غير الكامل فيه ومن جملة هذه التعاريف والأقوال نجد أن للرسالة توجهات مختلفة، فمثلا نرى" أبو هلال " شاكل بين الخطب والرسائل من حيث الألفاظ والفواصل وتحررها من الوزن العسكري والقافية كما اعتبرها وسيلة التخاطب، أما الدكتور "عبد الحليم الهروط" فقد اعتبر الرسائل أفضل مراتب الكتابة عند العرب، وأما "التهانوي" فقد عرفها بأنها الكلام المرسل إلى الغير المشتمل على أسس علمية.

المبحث الثاني: نشأة فن الرسائل

إن البحث عن فن الرسائل، ومراحل نشأته وتطوره وكيفية وصوله إلى أرقى وأسمى درجات الكتابة، واحتلاله مكانة رفيعة بين فنون النثر العربي، يتطلب منا أن نشير إلى مراحل النشأة والتطور لتاريخ الأدب العربي ومن أهم المراحل مايلي:

أ_ العصر الجاهلي:

العصر الجاهلي هو العصر الذي كان سائدا قبل الإسلام بحوالي قرن ونصف أو قرنين على الغالب.

وقد عرف العرب الجاهليون الكتابة في مجتمعاتهم قبل الإسلام بفترة من الزمن قد تتعدى القرنين بدليل وجود الألوف من النصوص الجاهلية التي عثر عليها في أنحاء مختلفة من جزيرة العرب وكان أقربها إلى عربيتنا الكتابة المعروفة بنص "النمارة" وهي شاهدة قبر "امرئ القيس"، وتشير بعض المصادر إلى وجود معلمين في الجاهلية ، فقد عقد كل من "ابن حبيب وابن رسته" فصلا خاصا أثبتا فيه جريدة بأسماء المعلمين في الجاهلية ومن هؤلاء المعلمين " عمر بن زرارة" و"غلام بن سلة".[1]

[1]– واضح الصمد: أدب صدر الإسلام،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، 1994م، ص165– 166 .

كتابة الرسائل والعهود ترافق الحضارة والاستقرار ولما كانت الممالك العربية لا تشغل من جزيرة العرب إلا أقلها، ولا ينطوي تحت ألوية الملوك من العرب إلا أقلهم فقد قلت لديهم الرسائل والعهود المدونة .... أو الذي وصلنا مما أنشأه عرب الجاهلية لا يقفنا على صورة صحيحة تامة بالرسائل والعهود التي عرفها العرب في العصر الجاهلي[1] .

إن نظرنا في الرسائل نظرا فاحصا ظهر لنا أن بعضها نقل إلينا عن طريق المشافهة لا الكتابة، وهذا النقل يضعف الثقة في صحتها،ن وأن بعضها نثر وأن بعضها شعر ومن الرسائل الشعرية: رسالة " القيط بن يعمر الإيادي" إلى قومه ورسالة "عبد العزى ابن امرئ القيس الكلبي" إلى قومه...، ومن ومن أشهر الرسائل النثرية وأقدمها رسالة "المنذر الأكبر" إلى "أنوشروان" مللك الفرس في صفة جارية أهداها إليه وفي هذه الرسالة وصف المنذر قامة الجارية، ولونها، وعينيها، وتحدث عن أهلها ونسبها وهي رسالة طويلة[2].

ومن رسائل العرب في العصر الجاهلي رسالة بعثها "النعمان "مع " كسرى" ينصح له فيها بالاعتماد على "زيد بن عدي" فقد توسم "النعمان" في زيد كفاءة أبيه ونجابته فاختاره معينا لكسرى، وقال في تقريضه:" إن عديا كان ممّن أعين به الملك في نصحه ولبّه فأصابه مالا بد منه، وانقطعت مدته، وانقضى أجله... وقد بلغ ابن له ليس بدونه، رأيته يصلح لخدمة الملك فسرحته إليه"[3].

وبعض الرسائل تشبه الوصية المكتوبة وتنطوي على حكم وأمثال ونصائح يهتدي بها الناس.

ومن الرسائل ما كان ينقل مرويا باللسان لا مكتوبا على الطرس فقد روت كتب الأدب أن " مُرّة أبا جساس" أرسل إلى المهلهل: " إنك قد أدركت بثأرك، وقلت جساسا فاكفف عن الحرب، ودع اللجاج والإسراف، وأصلح ذات البين، فهو أصلح للحيين، وأنكأ لعدوهم" .

[1]– غازي طليمات: الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه، ط1، دار الإرشاد حمص، دمشق،1992م، ص573.

[2]– المرجع نفسه، ص573.

[3]– المرجع نفسه، ص574.

وكانت رسائل العربي في العصر الجاهلي أنماطا: فنمط مكتوب على طرس، ونمط مروي بلسان، ونمط يرسله عربي إلى آخر في بلاد العرب، ونمط يرسله عربي إلى أجنبي خارج الجزيرة العربية [1].

تعتبر الرسائل ضربا من ضروب النثر، وإذا كانت الخطابة عمادها اللسان فإن عماد الرسائل القلم، ولم يكن العرب في الجاهلية من أرباب الكتابة، ولكنهم عرفوها،ولم يستخدموها بالمعنى الذي نفهمه لأننا لم نقع على رسالة أدبية واحدة نطمئن إلى صحتها ذلك أن العرب لم يتركوا دليلا ماديا مدونا سواء كان تاريخيا أو أدبيا يقول الدكتور شوقي ضيف: "وما من ريب في أن الكتابة كانت معروفة في العصر الجاهلي، ولكن هذه المعرفة شيء وأن العرب أحدثوا بها آثارا فنية مكتوبة شيء آخر، هم عرفوها لكنها معرفة محدودة".[2]

وقد قام "الأستاذ أحمد زكي صفوت" يجمع كل ماعرف من رسائل تنتمي إلى العصر الجاهلي وذكر في مقدمتها: " أن جمهرة العرب في ذلك العصر كانت متبدية، ولم تكن الكتابة فيهم فاشية ولذا كانوا يعتمدون في تراسلهم على المشافهة، فيبعثون برسالاتهم شفهية مع أمناء ينتخبونهم لإبلاغها...".

وقضية الرسائل قضية لا يمكن قبولها على علاتها لمجرد ورود بعضها في المصادر التي لم تهتم بتوثيقها ولا يمكن رفضها رفضا قاطعا لعدم وجود الدليل المادي، ولذلك كلها فإني لا أطمئن لصحة هذا الفن الأدبي المتطور[3].

1- غازي طليمات:الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه وفنونه أعلامه. ص174،175.

2-هاشم صالح مناع: النثر في العصر الجاهلي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت،1993، ص153.

3- المرجع نفسه، ص154.

ب_ العصر الإسلامي

يبدأ العصر الإسلامي منذ ظهور الدعوة وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين وظهور الدولة الأموية سنة 41هـ، حيث بدأت أنوار الدعوة الإسلامية تبعث أفكار تتوافق مع الفكر البشري، بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم وعقول الصحابة الكرام، حيث بدأ "الرسول صلى الله عليه وسلم" في نشر الدعوة الإسلامية وأشاد بالعلم والعلماء والقراءة والكتابة ودعى الناس إليها والحث عليها والأدوات المستعملة في الكتابة قال تعالى:

﴿ ن والقلم وما يسطرون﴾ القلم: آية1. وقوله: ﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور﴾ الطور:1-3. وقوله أيضا ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ البروج:21-22 وأدل آية نزلت على "الرسول صلى الله عليه وسلم" قوله تعالى:﴿ إقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق:1-5

قد نوه القرآن الكريم بالكتابة وفضلها وجليل قدرها ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال تعالى ﴿وإنّا عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾ البقرة: 28.

وأعلى رتبة وأبلغ شرفا مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته[1].

عمل "الرسول صلى الله عليه وسلم" جاهدا على نشر الكتابة بين أصحابه حتى لنراه يجعل فداء بعض أسرى قريش ممن حدقوا الكتابة عشرة من صبيان المدينة وقد حث القرآن على استخدامها في المعاملات وكانت هي الوسيلة إلى نشر القرآن وتعلمه فقد كان الصحابة يكتبونه حتى يتحفظوه[2]. قال عزّ سلطانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحقُ﴾ البقرة 282.

تعد الرسالة وثيقة مهمة فيما ينبغي أن يكون عليها الحاكم قاضيا أوغير قاضي من الرفق برعيته ومعاملة جميع أفرادها على قدم المساواة، وعمر رضي الله عنه يضع فيها

[1]- واضح الصمد: صدر الإسلام، ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994م ، ص167.

[2]- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط2، دار المعرفة، القاهرة، 2002م، ص129.

أسس النظر في الإدعاء وفي الصلح بين المتخاصمين، ويفتح الباب واسعا أمام من يقضي في شأن من شؤون الرعية وتبين خطأ قضائه أن يرجع فيه.

تعددت كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مجال الرسائل منها الرسائل الإخوانية فقد ورد أنه كتب إلى معاذ بن جبل معزيا له بابن له مات ومما جاء فيه : "من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: عظم الله لك الأجر، وألهمك الصّبر، ورزقنا وإياك الشكر...".[1]

[1]– واضح الصمد: صدر الإسلام، ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1994م ، ص168.

ج _ العصر الأموي:

يمتد العصر الأموي منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان سنة 41 هجري حتى قيام الدولة العباسية سنة 132 هي حيث إنشاء معاوية في العهد الأموي ديوان الخاتم لتسجيل رسائل الخليفة، هكذا علا شأن الترسل شيئا فشيئا،واختلفت أغراضه وتنوعت فنونه، فكان منه الرسائل السياسية التي تصدر عن ديوان الرسائل والرسائل الإخوانية في العتاب والشوق والشكر والتهنئة وما إلى ذلك[1].

لما اتسعت الفتوحات وكثرت موارد الدولة، وتعقدت المصالح عهد الخلفاء في كتابة الدواوين إلى العرب والموالي، وانفتح باب الرسائل والتصنيف، فكانت الرسائل أبحاثا مختلفة في السياسة والكتابة وما إلى ذلك، وقد ظهر التأنق في الرسائل[2].

لما اتسعت الفتوح وتفرق الولاة والعمال في الأقطار احتاجت الدولة إلى أن تبلغ الولاة والعمال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أمورا تتعلق بالسياسة أو الإدارة فحدثت كتابة الرسائل، ولم يكن للرسائل في هذا الدّور خصائص أدبية تميزها فلقد كانت الرسالة خطبة مدونة، أو كانت كلاما عاديا قيّده بالحروف من غير تنميق ولا التزام أسلوب خاص[3].

ورئيس الديوان كان يسمى الكاتب، كان ينشئ الرسائل التي كان الخليفة يبعث بها إلى الولاة، كما كان يتلقى الرسائل التي كانت ترِدُ إلى الخليفة ثم طورت الرسالة نفسها وأصبحت الكتابة، قبل أن ينقضي العصر الأموي صناعة ذات قواعد وأصول، أصبح للرسالة مطالع وفيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم وتوجه إليهم[4].

---

[1]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص374.

[2]– المرجع نفسه، 375.

[3]– عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، 1981، ص374.

[4]– المرجع نفسه، ص375.

كان في العصر الأموي رسائل لم تكن في شؤون سياسة رسمية بل في نصائح عامة في الحرب مثلا، كما في رسالة كتبها "عبد الحميد الكاتب" على لسان الخليفة يأمر فيها أحد الولاة بمنع الناس من اللعب بالشطرنج لأن الناس كانوا قد أدمنوا اللعبة به حتى صرف بعضهم عن العبادة وعن الاهتمام بمصالحهم[1].

وتزخر كتب التاريخ والأدب برسائل سياسية كثيرة أثرت عن هذا العصر وحقا هناك كتب تزيّدت في هذه الرسائل ونقصد كتب الشيعة مثل شرح "ابن أبي الحديد على نهج البلاغة" [2].

1- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، ص157،375.

2- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ط1،ص157.

د_ العصر العباسي:

ويبدأ هذا العصر بقيام الدولة العباسية سنة 132 هـ وحتى هجوم المغول على بغداد سنة 656 هـ وينقسم هذا العصر إلى قسمين وهما: العصر العباسي الأول ويبدأ من سنة 132 هـ إلى 232 هـ، والعصر العباسي الثاني من سنة 232 هـ إلى سنة 656 هـ. وشهد هذا العصر تطورا ملحوظا للفنون النثرية وقطعت شوطا بعيدا في مضمار الرقي والتقدم بعد الانفتاح الكبير على أمم أخرى وتمازج الثقافات، كما هو معروف فإن الإنشاء رهين برقي الحياة وتطورها، وكانت الرسائل بأشكالها المختلفة في مقدمة هذه الفنون ازدهارا واتساعا لأنه مرتبط أشدّ الارتباط بحياة الناس جميعا ولاسيما العاملين في مرافق الدولة والقائمين بشؤون السلطة[1].

ويمكن تقسيم الرسائل آنذاك إلى نوعين وهي الرسائل الديوانية والإخوانية، ودبّج بعض الكتّاب رسائل طريفة مفيدة شبيهة بما يعرف الآن بالخواطر الأدبية، التي تناولت موضوعات كثيرة تتعلق بالأخلاق والتهذيب والتوجيه والنصح والإرشاد وشؤون الحياة المختلفة[2].

وقد راحت الرسالة في هذا العصر تتطور أيضا، وقد خرجت شيئا فشيئا عن كونها حديثا يهدف إلى تفريج عن القلوب أو التوصية أو ما إلى ذلك، وانزلقت في تيار الزخرفة والتصنع حتى أصبحت ميدانا لإظهار البراعة ومصنعا من مصانع التطوير والتوشية وبستانا زاهي الألوان يسحر النواظر ويأخذ بجامع القلوب[3].

وقد كان للانقلاب العباسي أثر عظيم في العقول والميول ظهر على أقلام الكاتبين وألسنتهم، فقد استنبطوا عيون المعاني وتخيروا شريف الألفاظ مما لم يكن حوشيا ولا سوقيا وفتحوا أبواب البديع وعنوا بالتنميق والتنسيق ولما استبحر العمران واتسع نطاق الدولة، لم

---

[1]- ناظم رشيد : الأدب العربي في العصر العباسي،ط1، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل 1989، ص152.

[2]- المرجع نفسه، ص152-153.

[3]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، 1986، ص641.

تعد الكتابة مقصورة على الدواوين وإنشاء الرسائل كما كانت في الدولة الأموية بل تعدتها إلى أغراض شتى كالتصنيف والترجمة والمقالات...، وحلت الكتابة محل الخطابة في قمع

الأهواء وردع الأعداء، وإطفاء الفتن وتأليف القلوب، ثم تنوع الكتّاب بتنوع الدواوين: فكان منهم كتاب الخراج والنفقات وكتاب المظالم والقضاء، وكتاب الجيش والشرطة... لأن كتابة غيرهم لا تعتمد على فن ولا تقوم على الذوق[1].

ظللت الكتابة في أول العصر العباسي على أسلوب "عبد الحميد" من الميل إلى الإيجاز والقصد في الغلو والتنميق، ولاسيما في الرسائل والتوقيعات. فلما نزع العرب إلى الترف وزاد اختلاطهم بالفرس أخذوا يتأنقون ويطيلون، وازداد ذلك بتراخي الزمن حتى خرجوا عن أساليب القدماء وعابوا الجمل على المعنى الواحد ورأوا ذلك التكرار أبلغ للمعنى وأوقع في النفس، وانتقدوا مذهب الإيجاز في صدر الإسلام وبعده، ثم مالوا إلى الازدواج والسجع وتضمين الأشعار والأمثال وذلك جار مجرى الطبع الحسن والتصرف في المعنى وقلة التكلف في اللفظ[2].

ولما ضعفت الخلافة، وقام بالأمر غير أهله، سرى الضعف إلى الكتابة، فجهل أربابها الغرض منها، ومالوا إلى زخرف القول وتدبيج اللفظ بأنواع البديع وأغلوا في ذالك حتى سمحت مبانيهم وفسدت معانيهم، فكانت مموهة الظاهر مشوهة الباطن، كسيف من الخشب في غمد من الذهب، وليتهم وقفوا بهذا الأسلوب عند الرسائل والعهود بل خرجوا به إلى تصنيف الكتب وتدوين العلوم [3] .

من خلال ما ذكرناه سابقا نجد أن الرسالة في العصر الجاهلي لم تظهر كفن مكتمل الملاح، بل ظهرت بصفة نادرة وكانت متضمنة في الوصايا أو بعض الأبيات الشعرية فالطابع القبلي هناك لم يكن له داع، لاستقلالية كل قبيلة عن الأخرى، والرسالة في هذا العصر غلب عليها الإيجاز والبساطة في الألفاظ والارتجالية، وبظهور الدين الإسلامي

[1]- الزيات أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي للمدرس الثانوية والعليا، دار النهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة القاهرة دت، ص215.
[2]- المرجع نفسه، ص216.
[3]- المرجع نفسه، ص216.

والدعوة المحمدية برزت الرسالة في هذا العصر بشكل كبير بما اقتضته الحاجة، وذلك لنشر الدعوة الإسلامية عبر أرجاء المعمورة، فبدأت تبرز ملامح الرسالة الإسلامية شيئا فشيئا في شكلها وألفاظها وجزالتها، وقد واصلت على ذلك النهج حتى عصر الخلفاء الراشدين، أما في العصر الأموي فظهرت الأحزاب والتدوين والمكتبات والدواوين، وكل هذه العوامل ساهمت في تأسيس فن الرسالة كفن قائم بذاته، من حيث الشكل والصياغة والإيجاز وانتقاء الألفاظ وكان للخليفة كتاب خاصون فيها وقد تواصل هذا الأمر إلى بدايات العصر العباسي وبمرور الوقت وتداخل الثقافات الحاصل في هذا العصر، مال الكتاب إلى التصنع والزخرفة اللفظية، وأدخلوا مصطلحات جديدة على الرسائل التي كان هدفها إبلاغي أكثر منه جمالي.

المبحث الثالث: أنواع الرسائل

تعددت الرسائل بتعدد الموضوعات والمضامين التي تناولتها وباختلاف وجهاتها وأغراضها فمنها الديوانية والإخوانية والأدبية.

أ_ الرسائل الديوانية:

تتناول هذه الرسائل تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد والأمان، وأخبار الولاة وأحوالها في المطر والخصب والجذب وعهود الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم. وكان المنشئون لهذه الرسائل يتقنون الكتابة ويلمون بمختلف الثقافات وبخاصة اللغوية والأدبية والدينية، وتتألف الرسالة الديوانية من استهلال وعرض وخاتمة[1]. وتعد رسائل البشائر من الرسائل الديوانية وتكتب عادة في المناسبات العامة السعيدة، وتبدأ بالتحميد فعرض الحدث السعيد[2].

كما تسمى الرسائل السلطانية وهي الصادرة عن الحكام والسلاطين أو عن دواوين إنشائهم إلى الذين يضارعونهم في المنزلة أو شارة الحكم ويتناول المنشئون فيها على ألسنة حكامهم مسائل ومضامين مختلفة من مصالح الدولة، قال"أحمد الشائب في تعريفها: " هي ما تصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصة بشؤون الدولة وصوالحها، تسييرا للعمل وتثبيتا للنظام العام، ويغلب على هذا النوع الدقة والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية والمساواة في العبارة والبراءة من التهويل والتخييل"[3].

---

[1]– سامي يوسف أبو زيد:الأدب العباسي النثر، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، 2011م ص185.

[2]– المرجع نفسه، ص187.

[3]– محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب المضامين والخصائص الأسلوبية، ط،1دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص103.

وتكتسب الرسائل الديوانية أهميتها وخطورتها بوصفها لسان حال الدولة، وعليها يعتمد ترتيبها وتسيير أمورها، وتحديد علاقاتها مع الدول الأخرى، وعليها تعتمد هيبتها وتستند إليها أركانها فهي قوام الملك وضبط قواعده، وقد تنوعت الموضوعات التي عالجتها هذه الرسائل فتباينت مقاصدها وتعددت أشكالها بسبب ما تقتضيه طبيعة الحكم فكانت مضامينها تعكس معالم الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، كما كانت تعكس طبيعة الصراع القائم آنذاك سواء كان داخليا على السلطة أو خارجيا كالصراع مع دول الجوار[1].

ب_ الرسائل الإخوانية:

هي ضرب من الرسائل المتبادلة بين الإخوان، تدور حول العلاقات الاجتماعية والمشاعر الخاصة من رغبة ورهبة ومن مديح وهجاء وعتاب واعتذار واستعطاف ومن تهنئة وتعزية، وساعد على إذاعتها بين الناس أمران:"ظهور طبقة ممتازة من الكتاب غذيت بتحبير الكلام وتجويده، ومرونة النثر ويسرة تعابيره على تصوير معاني لا تتاح في الشعر"، وتدور في كتب الأدب رسائل إخوانية كثيرة دارت بين الأدباء والأهل والإخوان والأصدقاء والأحباب، وقد تعددت موضوعاتها تبعا لتعدد المشاعر والأحاسيس التي يتصف بها أصحابها وأهمها:

1) رسائل التهنئة.
2) رسائل التعزية.
3) رسائل للسؤال عن المريض.
4) رسائل العتاب بالإضافة إلى رسائل الإهداء،الإستزارة، التواصي، الشكر الاعتذار، المدح والهجاء[1]

هي تلك الرسائل التي تدور بين الأصدقاء والأقران توكيدا لعرى المحبة والصداقة والوّد بينهم[2].

[1]- سامي يوسف أبو زيد : الأدب العباسي النثر، ط1، دار ميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ،2011م، ص190،191 .192

[2]– عبد الحليم حسين الهروط: النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان 2013 ص69.

وهذا النوع من الرسائل هو نوع مهم وشائع ... ويطلق عادة على ما تم تبادله من رسائل نثرية أو شعرية ... في قضايا شخصية، أو أمور اجتماعية مختلفة، وهو نوع قديم عرفه الأدب العربي منذ عصر صدر الإسلام وما أعقبه من عصور الأدب العربي الأخرى[1].

والرسائل الإخوانية والأهلية تسمى كذلك الرسائل الوجدانية ويقصد بها التي يدبجها المبدعون إلى أهلهم، أو من يماثلهم في المنزلة من الأخوان والنظر في غرض من الأغراض الاجتماعية أو الثقافية في مجال متميز يجلو عواطفهم وأحاسيسهم، وليس لهذا اللون من الرسائل الإخوانية التي توجب على الكتاب اتباعها، وتلزمهم بالنسج على منوالها وليس غريب أن تتسع دائرة هذه الرسائل الإخوانية فقد كانت للمترجم به صلاته الواسعة وعلاقته الضخمة مع أهل عصره، بل كان كما يلمس من سياقاتها أنه كان مدرارا ومحورا ترد إليه الرسائل الإخوانية من جهات متعددة[2].

وقد ذكر بعض الدارسين معرفا بها:" إن الرسائل الإخوانية شعر غنائي منثور، يجد فيها كاتبها متنفسا حرّا عن عواطفه، لا يقيد فيها وزن ولا قافية وهي من أقرب فنون النثر إلى الشعر وهي تعبير عن عاطفة شخصية "[3].

كما تشتمل الكتابة الإخوانية الرسائل المتبادلة في محيط العلاقات الخاصة، والتي ليست لها صفة رسمية، وتدور حول الصلات الاجتماعية والمشاعر الخاصة، مثل المحبة والبغضاء، والرضا والسخط وغير ذلك من العواطف والانفعالات الذاتية. ولما كانت هذه الرسائل متعلقة بالصلات والأحاسيس الشخصية، فقد تعددت المواضيع التي تتحدث عنها تبعا لتعدد المشاعر والأحاسيس، واختلاف مضامينها تبعا لاختلاف الأشخاص الذين

---

[1]–غانم جواد رضا الحسن:الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري،ط1،العراق والمشرق الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2011،ص263.

[2]–محمد مسعود جبران: فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب،ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت،2004 ص203، 204.

[3]–الطاهر توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية 2010 ، ص8.

يكتبونها والشخصيات التي تكتب لها هذه الرسائل. فكانت هناك رسائل عديدة في التشوق والمودة والعتاب والاعتذار والتهاني والتعازي والإهداء والشكر والمديح والهجاء وغير ذلك وبعد هذه المواضيع[1].

ج_ الرسائل الأدبية:

وهي رسائل ينشؤها الكتاب والأدباء عامة وتكون في موضوعات أدبية بعينها، وقد تعددت أنواعها فمنها الرسائل السياسية والفكاهية والاجتماعية و الجدلية والعسكرية والتعليمية والنقدية وغيرها[2].

وهي إذ تكتب إلى بعض الأفراد فإنها تمتد إلى القراء عامة كما تمثل الرسائل الأدبية لون من ألوان النثر الإبداعي و تشكل مصدرا من مصادر الثراء الفني، فمثل هذه الرسائل تعتمد مطلقا على قوة الخيال وتصرف الذهن في التعبير، فالكاتب في مثلها يطلق العنان لفكره وقلمه فيترك لذهنه حرية التنقل والوصف دون قيود تفرضها النظرة الديوانية أو الإخوانية، فهي كما يصفها الحّلي من الرسائل التي يحسن بسط الكلام ويكون الكاتب مطلق العنان مخليا بينه وبين فصاحته موكلا إلى اطّلاعه وبلاغته، ما تضمنت الأوصاف من الخيل والجوارح والسلاح...[3]

وتعد الرسائل الأدبية: " من خير الوسائل التي تعبر بصدقها عن مكنون الضمير وخفي الشعور وهواجس النفس وخواطر الأذهان ولاسيما أنها حرة طليقة من قيود الرسميات"[4]

[1]–محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في الأدب العباسي،ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص102.

[2]–سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2011،ص193.

[3]–سلامة هليل عيد الغريب: الرسائل الفنية في العصر المملوكي،ط1،دار الحامد للنشر والتوزيع،عمان الأردن،2014،ص221.

[4]–الطاهر توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن هجري، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية 2010م، ص12،11.

المبحث الرابع: بنية الرسائل والروافد التراثية فيها

أولا- بنية الرسائل:

إنّ الدراسة الفنية للرسائل الرسمية والأدبية تتمثل في هيكلها أو في بنيتها النموذجية وكذلك في الأسلوب إضافة إلى الصور الفنية أو البلاغية والبنية النموذجية للرسائل ولاسيما الرسمية منها تتشكل من الأجزاء أو العناصر التالية:

- البسملة وتصلي على النبي وعلى اله وصحبه.
- ذكر المرسل والمرسل إليه والدعاء لهما.
- التحية والتحميد، البعدية، الحمد لة، والتصلية، إيراد خطبة بما فيها الدعاء.
- ذكر مكان كتابة الخطاب والدعاء له بالحماية.
- ذكر تاريخ الرسالة، وهذا يكون في بعضها.

من أهم العناصر في الرسالة نذكر: المقدمات، صيغ الانتقال إلى أغراضها خواتمها.

أ- المقدمات:

تحتوي المقدمات على المرسل والمرسل إليه، وكذلك الدعاء المقرون بهما بالإضافة إلى التحية بصفة عامة وجاء الافتتاح في صيغ مختلفة وعديدة ودالة بالخصوص على المرسل أو المرسل إليه مع مقارنتها ما بالدعاء و تقديم أحدهما أو تأخير ويختلف الافتتاح في الرسائل حسب الجهة المرسلة إليها.

- فالرسائل الموجهة إلى الملوك والأمراء تبدأ ب: " من أمير المؤمنين، أو الحضرة الكريمة، المقام الكريم، المقام المخصوص أحسن صفات الفخر"
- أما التي توجه إلى سواهم مثل الشخصيات التي كان لها وزن كبير في المجتمع فهي تستفتح ب: " سيدي الشيخ، والشيخ الأجّل".

- أما صيغة الاستفتتاح في الرسائل الأدبية فهي: " سيدي، يا سيدي الخليل الجلال، الفقيه الأجل، الحمد لله لا قوة إلا بالله متبوعة بالدعاء"[1].

ب- صيغ الانتقال إلى أغراضها:

التخلص من المطالعة أو الانتقال إلى الغرض المقصود يتمثل في تعابير وألفاظ خاصة مقرونة بالدعاء مثل: " وبعد.." و"إلى هذا..." وإذا كانت الألفاظ (كتب) (كتبنا) تدل على الانتقال إلى الغرض أو الموضوع المتمثل في هيكل الرسالة فإن لفظ "وإلى هذا" يدل دلالة قاطعة على الدخول و بصفة مباشرة في صميم الموضوع. وكل هذا نجده ينطبق على الرسالة الرسمية بالخصوص، لأن الرسالة الأدبية لا يلتزم فيها الكاتب ببناء معين بل يكون فيها حرا طليقا[2].

ج - خواتمها:

الختام يكون في الغالب بلفظ " السلام" أو تعبير "رحمة الله وبركاته" وأنه يكون مسبوقا بالدعاء، ومن الملاحظ أن الدعاء يسبق دائما أبدا التحية، وذلك في كل الرسائل سواء كانت رسمية أو أدبية، كما أن جميع الرسائل الرسمية كان يظهر لنا فيها بوضوح تام ذلك الاتجاه العقائدي للخلافة أو الإمارة من خلال استفتحها أو مطلعها ويتمثل ذلك في لفظ: " أمير المؤمنين" أو "أمير المسلمين"[3].

ثانيا: الروافد التراثية في الرسائل

تعددت الروافد التراثية المعرفية التي كان يستعين بها الكتاب في الرسائل كالقرآن والحديث، والشعر، والأمثال والتاريخ. وهنا اشترط المنظرون من كتاب الإنشاء الإلمام بهذا التراث. وذلك كأن يكون الكاتب حافظا للقرآن، والحديث والشعر والأمثال والخطب. كما

[1]- الطاهر توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص ص106،101.

[2]- المرجع نفسه، ص111،110.

[3] - المرجع نفسه: ص112،111.

يكون واسع الإطلاع على النحو واللغة والتاريخ، ورسائل المتقدمين وغيرها. أي كل ما يعين الكاتب على آداء مهامه، ولذا فإن القدامى كانوا يرون هذه المواد أساسية بالنسبة لمهنة الكتابة، وإضافة إلى هذا فإنهم كانوا يرون مواد أخرى مساعدة معلم المعاني، والبيان والبديع وعليه فإن تلك الروافد كانت ضرورية في كتابة الرسائل ولا سيما الرسمية منها، إذ أن الكاتب كان يحتاج لبعضها في الصياغة ولبعضها الآخر للاستشهاد"[1].

أ) الرافد الديني:

إنّ هذا الرافد يتمثل أساسا في القرآن والحديث.

أ1- القرآن:

يعتبر هذا الرافد أساسيا، حيث لا نكاد نجد رسالة إلا ويقتبس كاتبها من هذا المصدر الأول للتشريع الإسلامي والاقتباس إما يكون على مستوى الآيات والمعاني، والألفاظ، وإما يكون في الألفاظ فقط، وإما أن يكون في المعاني، ومعنى ذلك أن مجال الاقتباس واسع من هذا الرافد التراثي، وأنه يدل بطبيعة الحال على الاطلاع المسبق على الآثار المقتبسة"[2].

ومن أهم الأمثلة في هذا الرافد نذكر ما جاء في تهنئة ابن عميرة للمستنصر الحفصي، على جلبه الماء للقصر، وللمسجد الجامع أكثر من ست اقتباسات قرآنية، وعلى مساحة جد قليلة من القول بهذه التهنئة، والتي يقول فيها: " ذلك بأن أمرها(الخلافة) يعلو كلّ أمر، ويؤم منها كليلة القدر خير من ألف شهر، والحمد لله الذي أحيا هذا البلد الميت وأرانا مصادق قوله: وما رميت إذ رميت فتفويضها لمن قدر الأحوال طورا، ودوح النبات ورقا وقال لخلقه: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا، وكان الجامع استفى لقومه، واقتضى حق أمسه ليومه، ورأى ما يعيبه بسبب الخلق من سيل الودق فشفع للظمآن في معين الماء، واستغاث بدار الجود للرّكع السجود"[3].

فهذا الاقتباس معنوي لفظي، مثل نص الآية " ليلة القدر خير من ألف شهر" و"الحمد لله الذي أحيا هذا البلد الميت"، ولعل الكاتب كان يهدف من وراء هذه الاقتباسات

[1]- الطاهر توات: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص133.

[2]- المرجع نفسه، ص 134.

[3] - المرجع نفسه، ص 134.

إلى أن الخالق جعل من الماء كل شيء حي، ولم يفرط في الكتاب من ذلك شيئا، كما أنها كانت وسيلة أساسية لإكمال سجعاته، والكشف بها عن مهارته في إحكام الصلة بين صيغه والصيغ الأخرى"[1].

ومن جهة أخرى فإن هناك بعض من الموضوعات كموضوع التعزية الذي يحتوي على كثرة هائلة من المعاني الدينية، ولذلك يزداد الاقتباس من القرآن الكريم صيغة ومعنى ونشعر وكأن كل اقتباس يتلوا الآخر، كما أن اقتباس الكثير من القرآن الكريم لم يتوقف على موضوعات التهاني والتعازي وإنما شمل كل موضوع أو معنى قرآني ينطبق على الحياة، كما وجدت كذلك الاقتباسات القرآنية في الرسائل ذات الموضوعات السياسية والدبلوماسية والعسكرية مثل: رسالة أبي سالم المريني إلى محمد الخامس النصري، ورسالة تاشفين المريني إلى أهل مدينة سلا المدينة المغربية"[2].

أ2 – الحديث:

إن الاقتباس من الحديث كثير في الرسائل أيضا، لكن ليس بنفس كثرة الاقتباس من القرآن وهذا يبدوا منطقيا، إذ أن القرآن هو المصدر الأول للشريعة الإسلامية، وأن الحديث هو مكمل أو شارح له كما أن طريقة التعليم في بلدان المغرب كان لها أثر في ذلك .

كما أن اقتباس الكتاب من الحديث كان كاقتباسهم من القرآن، إذ أنهم كانوا يقتبسون اللفظ ويستلهمون المعنى، وهذا ما وجدناه مثلا في معاتبة ابن عميرة لجماعة من أصدقائه بسبْتَة قد قطعوا صلته ومكانته، يقول:" عُودوا إلى الصلة فهي أجمل، ودعوا القطيعة فإنها لا تحمل، و كلفوا الكتب إن لم تنشطوا له"[3].وهنا يمكن القول أن ابن عميرة قد استلهم معنى الصلة من الحديث التالي وهو:" صلة الأرحام تزيد في العمر"، خاصة وأنه كان رجل فقه بالدرجة الأولى كما أن هؤلاء الكتاب كانوا يقتبسون من الحديث الصفة والمعنى معا ومن المعروف لدى الكثير من المسلمين أن " اليد العليا خبر من اليد السفلى"و "ما نقص مالٌ

[1] – الطاهر توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ، ص134،135.

[2] – المرجع نفسه، ص135، 136.

[3] – المرجع نفسه، ص140.

صدقة" وهما حديثان كثيرا التردد، لأن لهما علاقة كبيرة بالحياة الاجتماعية حسب تعبيرنا المعاصر"[1].

ب) الرافد الأدبي:

وهذا الرافد يمكن أن يقسم إلى قسمين: قسم الشعراء، وآخر للمثل والحكمة.

ب1) – الشعر:

الأشعار التي نجدها في الرسائل ليست كلها مقتبسة ولا سيما تلك التي يستفتح بها الكتاب رسائلهم، ويأتون بها في مطالعها أو صدورها كما أن هناك نوعين من الأشعار كانت تحتوي عليها الرسائل منها ما هو مقبس من الشعر كانت تتم على مستوى الألفاظ أو الصياغة، كما كانت أيضا على مستوى المعنى، هذا وكل الإقتباسات تدل على اطّلاع الكتاب على الأشعار وتأثرهم بها لأنها أيضا من المعارف التي اشترط المنظرون توفرها في الكتاب"[2].

والاقتباس قد يكون على مستوى الصياغة وعلى مستوى التصريح بالمصدر الذي أخذت منه المادة الشعرية، والغرض منه هو الاستشهاد ويظهر هذا من خلال رسالة الفقيه المكودي إلي القاضي الفقيه أبي محمد الأوربي والتي نذكر منها هاته الفقرة:" فاقتضيناه في غاية الاستعجال واختصرناه كراهية ونزّهناه عن المعاني الغامضة، واللغات الوحشية اقتناء الآثار الفصحاء من الأوائل والأواخر، واقتداء بما أشار إليه الشاعر:

تخيرْ لنظمك سهل الكلامِ وجنبه حوشيه والسلام

فخيْرُ الجلــي الذي إذا قيل لم يفتقرْ للكلام

[1]- الطاهر توات: أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين،ص140،141.

[2]– المرجع نفسه، 140،142.

أما الاقتباس الذي يتم على مستوى المعنى فيصبح وكأنه جزء من أسلوب الكاتب الخاص، كما أنه لا يعرف إلا بالإشارات أو بألفاظ أو بتركيب جمل أو بعبارات مشابهة للمصدر المقتبس منه"[1].

ب2) – المثل والحكمة:

إنّ هذين النوعين قد ترددا في الرسائل لأن النقاد أو المنظرين لفن الرسائل كانوا يشترطون من الكتاب النظر في كتب الأمثال الواردة نظما ونثرا، كأمثال الميداني، والمفضّل وحمزة الأصبهاني وغيرهم، وأمثال المحدثين الواردة في أشعارهم كأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي وأمثال المولدين.

وبالإضافة إلى سبب الاشتراط في الكتاب النظر في الأمثال لأن هناك ميل النفس وانجذابها إلى سماع المثل والحكمة وأن هذا النثر الأدبي متميز بأسلوبه الخاص، المستغل كعلم البيان والبديع، حيث قال إبراهيم الناظم في هذا مايلي:" يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة"[2].

وبذلك نجد الكتّاب يتتبعون المثل والحكمة سواء أكانت في النثر أم في الشعر، وهذا للاستشهاد به، ولتزيين كتاباتهم، ولإظهار رصيد معارفهم، وقدرتهم على التصرف فيه على حسب ما يوافق نسيج أسلوبهم، كما يبدو أن الإنسان يسوق المثل والحكمة للعبرة وتجنب للورطات التي قد يسقط فيها، ولأجل هذا وغيره من الأمور الأخرى للحياة فإننا نجد الكتّاب أيضا يتوسعون في استخدام علم آخر في رسائلهم وهو التاريخ، الذي وُصف تعلمه في الحكمة اليونانية بأنه تعليم للفلسفة ، بالأمثلة "[3].

[1]- الطاهر توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص 144،145.

[2] –المرجع نفسه، ص148،149.

[3]– المرجع نفسه، ص 150،151.

ج) – الرافد التاريخي:

يتمثل هذا الرافد بكثرة في الرسائل، لأن التاريخ هو ذلك الفن، والعلم الذي تهواه النفس ولأنه المصدر الذي ما انفك يلبي رغباتها الدائبة في الإطلاع على حياة الأفراد والأمم، والشعوب وذلك لإشباع غريزة الإطلاع على الحياة على ما غمض وجهل، ولأخذ العبرة كما نجد في الرسائل الإشارة وحتى السرد في بعض الأحيان لموضوع من الموضوعات المنتمية إلى التاريخ الديني، والسياسي والحضاري. إضافة إلى الإشارة إلى أعلام الشعراء والكتاب والخطباء والفصحاء وغيرهم"[1].

وقد نجد الاستشهاد بالتاريخ في الرسائل الأدبية وذات الموضوعات الوصفية جامعا بين المتعة الفنية والتاريخية وهذا ما نجده في الرسائل التي وصف بها ابن عميرة رحلة ذهابه وإيابه من بجاية إلى قسنطينة ومنها يخصص فقرات في وصف مدينة قسنطينة وآثارها الرومانية .

كما أن استشهادات الكتّاب من التاريخ لم تتوقف عند هذا الحد في الرسائل وإنما راحت تذكر شخصيات كان لها وزنها من الناحية الأدبية والاجتماعية ومن أهم الرسائل التي تدل على ذلك نذكر رسالة ابن عميرة يصف فيها رسالة جاءته من أحد أصدقائه التي يقول فيها " ووصلني فيها خطابه الخطير المبرور فكنت به كالصائم رأى الهلال و الهائم عاين الزلال علق ليس يوازيه علق، وسحر لكنه حلال طلق، ونظم لذكر الطائي طاوٍ وصنعة لم يرها ولم يروها راء ولا راة، رمت ابن الرومي بالخمول وبشرب اسم بشار من الفحول..."[2]

كما يستشهد الكتّاب بأعلام من الخطباء والفصحاء، بالإضافة إلى استعمالهم لبعض المصطلحات التي تمس الجانب الديني، والنحوي، والبلاغي خصوصا صمن الجانب الديني يكون هناك استغلالات للألفاظ الدينية مثل حرم حلّ ، أما الجانب النحوي فنجده مثلا في تعزية ابن خطاب إلى أبي العز في وفاة والده والتي منها يقول: " والشكر لما حزتم من مآثر الفضل ينقسم بانقسام الزمان كالفعل غير أنه لا ينفي ولا يجزم"[3].

---

[1] – الطاهر توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص152،151.

[2]– المرجع نفسه، ص 155،154،153.

[3]– المرجع نفسه،158،156.

كما ينبغي أن يكون القارئ ملما ببعض المبادئ النحوية كمعرفته للفعل الماضي والمضارع والأمر وكذلك المضارع المرفوع والمنصوب والمجزوم وجمع التكسير والسالم بنوعيه المذكر والمؤنث لكي يستوعب من إشارات وقد لجأ الكتّاب إلى استخدام علم البيان استخداما موفقا للاستعانة به في تصويرهم لبعض مناحي الحياة"[1]

[1] – الطاهر توات:أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص 159.

الفصـــــــــل الثانـــــي

الدراســة التصنيفيــة

الموضوعاتية لرسائل الهمذاني

الفصل الثاني :الدراسة التصنيفية الموضوعاتية لرسائل الهمذاني

المبحث الأوّل :الدراسة التصنيفية

أولا- المدح

ثانيا- الكدية والاستجداء

ثالثا- الاعتذار والاستعطاف

رابعا- العتاب

خامسا-الشكوى

سادسا- الهجاء

سابعا- العزاء والرثاء

ثامنا- الود والصداقة

تاسعا- النصح والحكم

عاشرا- الوصف

إحدى عشر- الشؤون العامة أوالصحافة القديمة

المبحث الثاني: الدراسة الموضوعاتية

1- المدح

2- الكدية والاستجداء

3- الاعتذار والاستعطاف

4- العتاب

5-الشكوى

6- الهجاء

7- العزاء والرثاء

8- الود والصداقة

9- النصح والحكم

10- الوصف

11- الشؤون العامة أوالصحافة القديمة

يعد الأدب تعبيرا عما يدور في خاطر الأدباء والشعراء منهم وقد اختلف تعريفه باختلاف العصور، وللعربي تربية خاصة تحوي انفعالات يحاول ترجمتها بشتى الوسائل ليعبر عن أحاسيسه ومشاعره وقد لجأ من أجل ذلك إلى أغراض مختلفة كالمدح والهجاء والرثاء والوصف وغيرها، هذه الأغراض كانت اللسان الذي يتكلم به الشاعر مبديا رأيه.

وقد تطرقنا في هذا الجزء من دراستنا إلى مجموعة من الأغراض في الشعر والنثر لأن هناك أغراض شعرية حمل لوائها الشعراء وعبروا عما يجول في خاطرهم ولا يمكن تغييب دورها في التعبير عن الأفكار ومختلف الأحاسيس التي تتجسد في أحسن صورة، قبل أن نتناول الأغراض النثرية عند الهمذاني لأنه ضمن أبيات شعرية في رسائله.

المبحث الأول: الدراسة التصنيفية

أولا- المدح:

المدح من العناصر التي لا تكاد تخلو منها أي رسالة إخوانية، لما في النفوس من حب المدح والثناء، وقد لوحظ ذلك جليا في رسائل التهنئة والإهداء والشكر والتعزية، وقد شكل المدح عنصرا مهما في بناء تلك الرسائل، لأنّ هناك رسائل اتّخدت المدح غرضا لذاته، وقد كان أكثر الكتاب يجدون في هذه الرسائل فرصا لإظهار عواطفهم وصدق مشاعرهم وحسن نواياهم، وهم يعكفون على تلك المبالغات وخاصة فيما يخص مواهبهم التأليفية، فتكثر الإشادات بقدراتهم التعبيرية والبيانية، وقد تبادل الكتاب الرسائل معبرين فيها عن الخصال النبيلة[1]

المدح هو غرض من أغراض الشعر ، يقوم على فن الثناء، وتعداد مناقب الإنسان الحيّ، وإظهار آلائه وإشاعة محامده وفعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة، والتي اكتسبها اكتسابا والتي يتوهّمها الشاعر فيه[2].

يتّصل المدح بموقف الشاعر من المجتمع، وبظروفه وظروف مجتمعه، وقد تضمن المدح موضوعات شتى كالفخر والرثاء، والوصايا إلى جانب شعر المدح، ويبدو نموذج

[1]- سلامة هليل عيد الغريب: الرسائل الفنية في العصر المملوكي، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن-عمان،2014 ص144، 145.

[2]- غازي طليمات: الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه فنونه أعلامه، ط1، دار الإرشاد بحمص، دمشق، 1992، ص160.

الإنسان في الشعر الجاهلي من بعض النواحي، وكأنّه نموذج مدح يمتدح الشاعر به نفسه أو غيره، حيّا أو ميتا، وإذا كان الشعر تشكيلا لرؤية وموقف، فإنه أيضا صورة وعلاقة ولهذا فإن بروز أنا الشاعر محصورة في إطار ذاتي أمرٌ له قيمته وأثره ودلالته[1].

هو الثناء بالشعر على إنسان لفضيلة اتّصف بها، أو لعمل جليل ند به، أو لمعروف أسداه فسيكون المدح حينئذ اعتراف بفضل الممدوح، وقد يكون المدح رغبة في العطاء، وهذا ما أطلق عليه التكسب بالشعر، وأشهر فرسان هذا النوع في الجاهلية: النابغة، وزهير والأعشى، وأكثر شعراء الجاهلية لم يمحوا الرغبة لأنهم اعتزوا بذواتهم وكانوا أولى حمية ومن هنا تأخر المدح عن كثير من فنون الشعر وقل عند أكثر الجاهليين ولاسيّما الشعراء الفرسان[2].

ففي المدح بمعناه الاصطلاحي نجد أن الشاعر يتوجه بحديثه إلى شخصية ذات وضع اجتماعي مميز واقعيا، محاولا أن يقدم لهذه الشخصية النموذج الشعري الذي يتلائم مع ذلك الوضع وهو في تشكيله معنيٌ بتوفير العناصر الموضوعية التي تبرز تفوق الممدوح في إطار ماهو كائن بالفعل، أو ما يجب أن يكون، وإذا كانت علاقة الشاعر بالموضوع في الفخر تجعلنا ننظر إلى الذات والموضوع بوصفها شيئا واحدا، فإن علاقة الشاعر بالممدوح تبدوا قريبة الشبه من ذلك، نجد لكثير من الممدوحين نوعا من الهيمنة على نفس الشاعر سواء كان ذلك راجعا إلى الإعجاب المطلق أو النفع المتبادل[3].

وهو من أبرز الفنون الشعرية القديمة فقد تضاءل شيئا ما بعد مجيء الإسلام، إلا أنه عاد ليحتل مساحة واسعة على خريطة الشعر في العصر الأموي وذلك بسبب:

- الثراء العظيم الذي كان يعيش فيه الخلاء الأمراء فكانوا يغدقون إغداقا استمالة لهذا الشاعر أو ذاك، ورغبة منهم في إذاعة أمجادهم.
- العربي بطبعه يتأثر بطبع الناس فيه مدحا أو قدحا وقد اكتشف الشاعر العربي ذلك فاستغله أسوأ استغلال، وابتز الأموال من السادة تحت تأثير الترغيب تارة والترحيب تارة أخرى.

---

[1]- حسني عبد الجليل يوسف:الأدب الجاهلي قضايا و فنون و نصوص،ط1،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع القاهرة،2001،ص246.

[2]- زكريا النوتي: الأدب الجاهلي تاريخه قضاياه، دط، دت، ص100.

[3]-مرجع سابق، ص246.

– تفرق الناس واختلافاتهم إلى أحزاب، ولكل حزب مؤيده من الشعراء المادحين له الهاجين أعداءه، وقد ترددت أسماء كثير من الممدوحين على ألسنة الشعراء الأمويين بفضل العطايا السخية[1].

وكل الشعر العربي في جميع عصوره لم يخلو من الأغراض الشعرية ففي الجاهلية نرى الشعراء يمدحون ولكن مدحهم كان أقرب إلى الواقع وأبعد من المبالغة، ثم أخذ المدح يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والركون إلى الرخاء واضطر الشعراء إلى التزلف والتملق حتى ينالوا خطوة عند الأمراء والخلفاء...نجد بعض الشعراء يقربون من الشعراء الجاهليين في صدق مدحهم ولا يسرفون في وصف الممدوح بما ليس فيه[2].

ويقتضي المنطق بأن يكون الإعجاب هو الدافع الأول الذي يُنطق الشاعر بمدح الممدوح ثم تطورت الدوافع وطغى حب المال على المدح والمادح وأضاف هذا الطغيان إلى الدافع الأصيل النبيل دفاعا طارئا هو التكسب ثم زاحم الدافع الطارئ الدافع الأصيل حتى كاد يلغيه، وصار الشعراء يتكسبون بالمدح، ولا يبعثهم على نظمه حب لمن يمدحون، بل طمع فيما يربحون[3].

ربما كان الأقدمون أصح إدراكا لطبيعة المدح، وأقدر على فهم وظيفته التربوية إذ اعتقدوا أن الممدوح أسوة وقدوة وأن الفضيلة بمفهومها النظري المجرد عاجزة عن الترغيب في الخير، واقعة بين القصد أما الفضيلة الحية في ممدوح حيّ فإنها الدافع الأول إلى جلائل الأعمال، وأما الممدوحون، فإنهم وحدهم جديرون بالخلود[4].

ممن ينظر في دواوين الشعر الجاهلي نجد أن الجاهلي يجد أن المعاني التي يلتقي عنها شعراء المدح في جوهرها المعاني التي تشيع في الفخر، لكنها في الفخر تنبع من نفوس الشعراء، وفي المدح يمليها على الشعراء سلوك الممدوحين وسجاياهم وهذه المعاني كلها أو جلها موصولة النسب بحياة العرب في بدواتهم وحضاراتهم، وبحكم الملوك والأمراء في الحرب والسلم، غير أن القيم البدوية أشيع من القيم الحضارية في المدح الجاهلي ما قيل في شيوخ القبائل وما قيل منه في أمراء الحواضر، لأن العنجهية البدوية

[1]–عبد المجيد النوتي: الأدب الأموي تاريخه قضاياه،ط1، مطبعة الحسين الإسلامية،1992.

[2]– محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية عصر الولاة، دط، الناشر دار الفكر العربي، دت، ص171.

[3]– غازي طليمات: الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه،ص160–161.

[4]– المرجع نفسه،ص163.

بقيت ذات سحر وسيادة وأهم هذه المعاني الشجاعة ، وإغاثة الملهوف وحماية الجار وكرم الأزومة، ونقاء العرض، والوفاء بالدمم، وسعة الصدر والحزم في غير عنف، والحلم في غير ضعف، والكرم والشهرة، والصبر، والمجد، التليد الترف السرف، الكف عن الظلم[1].

أما بالنسبة للمدح عند بديع الزمان الهمذاني هو من الأغراض التي تناولها في رسائله حيث خص كثيرا من الأشخاص بالمدح، وكان يمدح على طريقة الشعراء فقد اعتمد في عرضه على الصور البيانية، كالتشبيه، والكناية كما أن مدحه يمتاز بالسهولة واليسر وخفة الروح، والتفنن في المدح والإفراط في المبالغة:" ولكن أيضا إفراط في البراعة والاحتيال على اصطياد المعاني وتقريبها إلى النفس وإدخالها إلى القلب"[2].

فقد مدح الأئمة والأمراء والخلفاء لخصالهم الحميدة، وتواضعهم ومكارم أخلاقهم والصفات الجليلة، وهناك من المدح ما هو متكلف يتسم باللف والدوران والاحتيال " ويبدوا متكلفا لولا تمكن البديع من قلمه، ولولا ما في الرسالة من أسلوب عذب وصياغة جميلة"[3] وكان يمدح نفسه مع من يمدح.

والمدح من الفنون التي أكثر فيها بديع الزمان وأجاد، ولعل مرد ذلك أن بديع الزمان رجل جوّاب أفاق يتكسب بأدبه وفنه ويرد بذوات عظماء عصره... وهبه الله من بسطة في القول وروعة في البيان، وإن كنا نلاحظ عليه دائما التكلف والصّد والصور والأخيلة والمبالغة المفرطة"[4].

ثانيا- الكدية والاستجداء:

من الأغراض التي تناولها بديع الزمان الهمذاني وأغلب رسائله كانت في الاستجداء يغلب عليها طابع من المديح، لكنه يختلف عن المديح الذي تناولناه مسبقا، بل هو مديح رخيص لا تفنن فيه ولا روح،وهو كلام سهلا يسيرا أكثر مظاهرة ومداجاة وتملق، وتغلب عليه في بعض الأحيان الملاطفة وإلقاء النكاة والسخريات الطريفة كما عمد على استفتاح رسائله

1- غازي طليمات:الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه،ص164،163.

2- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية،ط1، بيروت،1983م،ص183.

3- المرجع نفسه،ص185.

4- المرجع نفسه،ص 187.

الاستجدائية بالمدح استهلالها بالثناء ومن الرسائل الاستجدائية ما يستهلها بالمديح ثم ينهيها بالطلب الصريح كما ربط كذلك الاستجداء بالتوبيخ والتقريع"[1]

فالكدية والاستجداء عند بديع الزمان لها ألوان وأشكال فهو تارة صريح في رسائله حيث يستفتح الرسائل بالاستجداء ويختمها به، وتارة بالتحايل بالنكتة الحلوة والملحة المضحكة، وتارة يعمد إلى البداية بالمدح والنهاية بالكدية المقنعة وتارة يبدأ بالمدح وينتهي بالكدية الصريحة، وأحيانا يسوق الاستجداء ضمن رسالة من التقريع والتوبيخ، ومهما يكن من أمر فبديع الزمان لطيف في استجدائه ماكر في اكتدائه غير مثقل ولا ملحاح"[2].

ثالثا- الاعتذار والاستعطاف:

الاعتذار:

هو من الأغراض الشعرية أو النثرية القديمة التي عرفها تراث الأدب العربي الأدبي ثم شاع استخدامه في النثر الفني ولاسيما في المكاتبات الإخوانية، وأصبح من مقاصدها المهمة المتداولة بين الأدباء والكتاب، وتميزت الرسائل الاعتذارية بجودة الآداب والبراعة في صياغة الألفاظ والتراكيب، واستيفاء المعاني الدقيقة، وتقصي الألفاظ الجامعة لمعاني العذر، ويتم تبادل الاعتذار بين الإخوان والأصدقاء في مكاتباتهم لسل السخيمة والأضغان من القلوب، أو لتبرير مهلة كانت سببا للعتب أو اللوم أو القطيعة"[3].

والاعتذار آية من آيات الوفاء في علاقات الناس ببعضهم البعض و ليس أكرم ممن يقترف ذنبا أو يقترف جريمة ثم يعتذر عنها"[4].

كما أن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ لاسيما مع الملوك وذوي السلطان، حقه أن يلطف برهانه مدمجا في التضرع والدخول تحت عفو الملك، وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ، ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ويحيل الكذب على الناقل والحاسد، فأما مع الإخوان فتلك طريقة أخرى"[5].

---

[1]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية، ص 190،191.

[2]- المرجع نفسه ، ص 192، 193.

[3]- غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في ق4هـ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011، ص288 .289

[4]- مرجع سابق، ص194.

[5]- القيرواني ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دط، دت، ص330.

كما تمثل رسائل الاعتذار الوجه الآخر لرسائل العتاب، ونتيجة له، فإذا ما بعث أحدهم رسالة عتاب إلى صديقه لقاء مقاطعة حصلت أو مشاحنة حدثت، يسارع الآخر في اعتذاره لإقامة الصداقة والحفاظ على جو الأخوة الصادقة، فيجعل من ذلك الاعتذار مسلكا جديدا يدخل منه إلى قلبه"[1].

فرسائل الاعتذار تحمل من الوفاء والاعتراف به وإيثار الأصدقاء الجم الغفير، وهي علاج يبرئ سقم الصداقة الذي خلفته القطيعة، فيقوم الكاتب باختلاق الأعذار في تبرير فترة تجاهله وتناسيه لصديقه، عله يقنع بتلك الحجج ويصفح عنه ويطوي صفحة قد كدرتها دلاء الصرم والقطيعة، وتتخذ رسائل الاعتذار مناحي متعددة تتمثل في الاعتراف بالذنب والتوسل من أجل إدامة المودة وخلق الاعتذار ولين الخطاب لونا من ألوان العتاب[2].

الاستعطاف:

يعد الاستعطاف لونا آخر من ألوان الرسائل الإخوانية[3] وهو دليل صادق على أن كثير من الأدباء برعوا في هذا النوع وأحسنوا القول فيه وجروا إليه مسرعين مجيدين فأتوا بما يستل الأضغان ويلين قاسي القلوب ويترحم الأشداه العتاة"[4].

وأكد "القلقشندي" ذلك فذكر يقول " المكاتبة في استعطاف الرؤساء وملاطفة الكبراء تحتاج إلى حسن تأت لما تشتمل عليه من إيجاب حقوقه..."[5].

إن فحوى غرض الاعتذار والاستعطاف الذي تناوله بديع الزمان الهمذاني في رسائله "كتبه دفعا لسعاية أو حضا لوشاية أو إبعاد الفرية أو تكذيبا لوقيعة، وأحيانا يعتذر بديع الزمان عن تقدر حدث منه لأحد أصدقائه، ومرة يعتذر لمن قصد جنابه طالبا رفضه، وهو في هذه الحالة الأخيرة يعمد إلى النكتة والطرافة"[6] ، فقد وجه رسائله إلى مختلف الأشخاص

---

[1]– سلامة هليّل عيد الغريب: الرسائل الفنية في العصر المملوكي، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن عمان 2014، ص178.

[2]– المرجع نفسه، ص 178.

[3]– علي الغريب محمد الشناوي: النثر الأندلسي في عصر الموحدين، ط1، مكتبة الآداب القاهرة ، 2009،ص 175.

[4]– عبد العزيز محمد عيسى: الأدب العربي في الأندلس، دط، مطبعة الاستقامة بشارع أم الغلام ،دت، ص150.

[5] – محمد جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن4هـ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2011. ص267،266.

[6]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية، ص 194.

تختلف باختلاف الغاية المرجوة فهو كان يعتمد في رسائله على الأسلوب العذب والعبارة المرتبة والحجة القوية والفقرات المنتقاة التي تنساب عن العقل.

كما يبني بديع الزمان الاستعطاف على الظروف والفكاهة وكذلك الأمر بالنسبة للاعتذار[1] ومجمل القول أن بديع الزمان كان يجيد أساليب الاعتذار والاستعطاف ويتحايل على ذلك بأدبه الرفيع وصنعته الماهرة وسليقته الماكرة وروحه الخفيفة مخترعا الأسباب المقبولة والمعايير المعقولة، يصوب خطابه إلى وجدان من يكتب إليه عالما بمواطن الضعف فيه وسرعان ما يمسح عما في فؤاده من حفيظة أو كراهية[2].

رابعا- العتاب:

إنّ العتاب فن وجداني ذو مجريين شعري ونثري وقد عرف في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وهو أقدم من الاعتذار لأن معنى العتاب لما يتضمن من لوم واستنكار والعتاب هو أدنى درجات اللوم الموجدة " والعتاب كل ذلك مخاطبة الإذلال وكلام المدلين أخلائهم، طالبين حُسن مراجعتهم، ومذاكرة بعضهم ما كرهوه مما كسَبهم الموْجِدة"[3].

ومقام العتاب يكون قصد المعتوب عليه يكره العاتب فأما الإعتاب والعُتبَى: فهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب"[4] فهو يتضمن إنكار ما بدر من المعتوب عليه ولكنه للعلاقة الخاصة بينهما من ودّ وصداقة، أوجب أن تخرجه من لين وترفق وتلطف حفاظا على مشاعر المعتوب عليه.

العتاب وإن كان حياة المودة وشاهد الوفاء فإنه باب من أبواب الخديعة يسرع إلى الهجاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كل داعية الألفة وقيد الصحبة وإذا أكثر خشن جانبه، وثقل صاحبه وللعتاب طرائق كثيرة، وللناس فيه ضروب مختلفة فمنه ما يزاحمه الاستعطاف والاستئلاف ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف، وقد يعرض في المن والإجحاف، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف[5].

---

[1]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة،ص 199.

2- المرجع نفسه، ص 200.

[3] - ابن منظور : لسان العرب، ص 27.26.

[4]- المصدر نفسه، ص 26.

[5]- القيرواني ابن رشيق: العمد في محاسن الشعر وآدابه، دط، دت، ص318.

العتاب واحد من أهم الأغراض أو المقاصد التي شاع دورانه أو وروده في المكتبات الإخوانية. شعرا أو نثرا ، عبرا عصور الأدب العربي، وخاصة في القرن الرابع، ولعل مرد ذلك يعود إلّى طبيعة العتاب، وكنهه، وشدة امتزاجه بفن الإخوانيات فالعتاب بوصفه ظاهرة إجتماعية وإنسانية " لا ينفصم عن أية علاقة بين بني البشر، فحيث تكون صداقة وإخوان يكون عتاب، يزيل صدأ القلوب، ويعيد نهر الحب إلى مجراه" والعتاب أكثر لصوق بفن الإخوانيات– سواء أكانت شعرا أم نثرا– من سواه من الأغراض الأخرى"[1].

ولعمق الأصرة بين العتاب والإخوانيات وامتزاجهما واقترانه بها، ذهب بعض الباحثين إلى الإخوانيات التي وجدت في النثر كما وجدت في الشعر، تسمى في النثر **العتاب** كما ذكروا أن من المؤلفين من يطلق الإخوانيات والعتاب بدون تميز على ما يقال– شعرا أو نثرا– في مناجاة الأصدقاء"[2].

وهكذا فإن حقيقة العتاب وكنهه وأساسه المودة، وغاياته إصلاح ما فسد منها، يرأب به الصدع، ويداوي الجراح ومن هنا ظل العتاب وعلا على مدى عصور الأدب النجوى الهامسة بين الأصحاب والأتراب وقد أحسن كثير من كتاب الرسائل الإخوانية (ق4) استخدام غرض العتاب استخداما ذكيا ودقيقا لبلوغ غاياتهم، والتعبير عن مراميهم المختلفة وأماطوا اللثام عن كثير من القضايا الشخصية، والعادات والتقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة في المشرق الإسلامي إبان هذا القرن.

ومضامين رسائل العتاب وطبعة المعاني والأفكار التي تضمنتها، وأسلوب لغة العتاب، وحدة لهجته أو رقتها، فما من شك في أنّ ذلك كله يتوقف على أمرين مهمين:

الأول: دوافع العتاب وأسبابه التي حفزت الكتّاب لإنشائه.

الثاني: شخصية المرسل إليه، وطبيعة موقعه السياسي أو الاجتماعي، فحين تكون دوافع العتاب مثلا: عدم المواصل أو انقطاع المراسلات بين الأديبين التربين، أو ضآلة حجم الرسالة وتكون شخصية المرسل إليه من الأقارب أو الخلان، أو من بين التلاميذ المقربين تكون لهجة العتاب في الرسالة غالبا رقيقة هادئة، وقد تقرب أحيانا إلى المناجاة والحنو

[1]– محمد جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في ق4هـ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2011، ص274.

[2]– المرجع نفسه، ص 275.

والمداعبة الهامسة"[1].

وقليل ما تخلوا الصداقات الخالصة من شوائب تكدر صفوها كقطيعة أو أسباب، أو تجاهل، أو غير ذلك مما يحصل بين الأصدقاء، فالدهر كفيل بأن يخلق من مثل هذه الأحوال التي تستدعي كتابة رسائل العتاب من أجل تدارك الهفوات التي تضر بتلك الصداقات، وتمثل هذه الرسائل لونا من ألوان الود وموجبات الحفاظ عليه"[2] والعتاب يشكل مطهرا ومعقما للصداقات يصونها ويحفظها من التباغض والتقاطع، فهو يشكل صفحة نقية من صفحات الصداقة الخالصة يتبادل الأصدقاء من خلاله كشف هفوات بعضهم من أجل سد تلك الثغرات وضمان تلك المودات، والمحافظة عل سلامة الخلات وصفائها، فالعتاب محور أساسي ترتكز عليه أواصر الصداقات ينقيها من كل شائبة تشوبها وتتباين صور العتاب بين اللين والرقة والقسوة والشدة تبعا لحالة الأديب ومدى أثر ذلك الحادث في نفسه"[3].

و العتاب من الأغراض التي تناولها البديع في رسائله وهو غرض قائم على صلات الناس بعضهم ببعض وهي صلات كنبع من الروح الإنسانية فقد كان البديع شديد الحساسية يثور لكرامته ويرعى حرمتها، لا يسكت على ضيم ولا يغمض الجفن على إهانة، فكان شديد العتاب وبليغ الخطاب في عتابه، فقد رصع رسائله بالمعاني الرفيعة وزينها بالألفاظ الأخاذة ووشاها بالأسجاع والجناس وأضفى عليها من فنه الرقيق وأدبه البديع، كما لجأ إلى نوع من العتاب وهو لون أشد وأعنف مصحوب بتوبيخ وتقريع"[4].

وقد وظف البديع غرض العتاب لتحقيق مبتغاه فهو حينما يعاتب يسخر غرض العتاب في التعبير عن وجدانه فهو لايستطيع أن يهجو ويعادي فكان هذا الغرض أفضل طرق التعبير أبين الأساليب في البوح عما يضمره لهم من الأسى والجفاء، وبهذا فقد كانت رسائله موجهة لعدد من الأشخاص مثل أي رسائل أخرى بأغراض مختلفة لكن كان يراعي مكانة كل شخص والمقام الذي يليق به"[5].

---

[1]– محمد جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في ق4هـ، ص 275،276.

[2]– سلامة هليّل عيد الغريب: الرسائل الفنية في العصر المملوكي، ط1دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن عمان، 2014، ص172.

[3]– المرجع نفسه، ص172،173.

[4]– الشكعة مصطفى:. بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية،ص ص201، 205، 206، 207.

[5]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية، ص203.

فقد أجاد البديع فن العتاب كل الإجادة وهو يحسن فن الحديث بالقدر الذي يتلاءم مع من وقع عليه العتاب، والعتاب فن رقيق فهو متعلق بعلاقات الناس بعضهم بعض والعلاقات تتبع من الوجدان وتتبلور في القلوب ومن هنا كان العتاب فنا وجدانيا خالصا، وبديع الزمان رجل حساسية ووجدان فلا غرور أن يحلق في سماء المعاني يأتي منها بالفريدة الجديدة وأن يسبح في سماء الخيال يقتبس آيات من السحر المذاب والجمال الخلاب"[1].

خامسا- الشكـــــــوى:

من الأغراض المهمة التي تناولتها الرسائل الإخوانية ويتسم هذا الضرب من المكاتبات غالبا بحرارة العاطفة ودفق المشاعر للتأثير في أحاسيس المكتوب إليه. وهذه المكاتبات ترسل عادة إلى الأقارب أو الأتراب أو كبار الشخصيات من الرؤساء والوزراء وغيرهم ولذا فقد كانت تتسم بحسن التأتي والبراعة من صياغة المعاني ودقة الأفكار وعمقها"[2].

وقد رأى بعض الباحثين أن الشكوى مظهر من مظاهر الحياة، وهي في أحيان كثيرة لا تنقسم عنها ومن هنا ربطوا بين شيوعها في أي مجتمع إنساني وبين تعقد الحياة وتفاقم المشاكل المختلفة فيه وفضلا عما يسود المجتمع من التطور الحضاري، ونضج الحياة العقلية فيه، أو اضطراب الأوضاع السياسية والاجتماعية وما إلى ذلك.

حيث شاعت ظاهرة الشكوى نتيجة هذه الظروف وما نتج عن ذالك من تباين كبير وواضح في المستوى المعيشي الاجتماعي بين طبقات المجتمع الإسلامي وفئاته المختلفة فضلا عما تعرض له كثير من رعايا الدولة الإسلامية، ومنهم الأدباء والعلماء، من ضروب المحن والنكبات، وما لقيه بعضهم من ألوان الفاقة والبؤس والجور والحرمان"[3]

قد كثر أدب الشكوى كثرة مفرطة شعرا ونثرا. ربما لا نجد له مثيلا في أي عصر من عصور الأدب العربي وهكذا اندفع كثير من الأدباء في هذا القرن يشكون حظهم العاثر ويصوّرون ما ألم بهم من مرارة البؤس والحرمان وضراوة الإخفاق والفشل في حياتهم القاسية

[1]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص266،267.

[2]- غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري ، ص266،267، ص 266،267.

[3]- المرجع نفسه، ص266،267.

وراحوا يتضرعون إلى بعض الرؤساء والحكام أو الأتراب والأنداد، استدرارا لعطفهم أو تنفيسا عما أصابهم من بؤس وعوز وحرمان[1].

ولقد استوقفت الأوضاع السياسية والاقتصادية المضطربة وبخاصة تصرفات كثير من الولاة وعمال الخراج وبعض المتحسبين والقضاة وحياة الضرائب وغيرهم، وما اتبعوا من أساليب جائرة وألوان التعذيب والبطش مع الرعية من أجل استحصال الأموال، استوقف كثيرا من الأدباء فأثارت حفيظتهم، وألهبت أحاسيسهم فراحوا يعبرون عن فداحة تلك المآسي والمحن التي ألمّت بمجتمعهم، بما صدر عن أقلامهم من شكوى مريرة كانت أحيانا صرخات مدوية بوجه ألئك العمال المتجبرين"[2].

كما راح كثير من الأدباء يعبرون عن ضجره من قسوة هذا الواقع المؤلم، ويصرح بتبرم الحياة، وما انطوت عليه من ألوان القهر والحرمان ولكنهم لم يكونوا جميعا صريحين في معالجة هذا الواقع المزري، أو في تشخيص مصدر هذا الظلم والفساد، ولم يجرؤ أكثر هؤلاء الأدباء على الكشف عن جور أولئك الحكام الطغاة وتسلطهم اتقاء لشرهم أو خوفا من بطشهم وتجبرهم"[3].

أما بديع الزمان الهمذاني فقد تناول غرض الشكوى من مختلف جوانبه، فهو تارة يشكو حاله وتارة أخرى يشكو زمانه. أو قاضيا ظالما أو عاملا فظا أو الإخوان، وفي غيرها يشكو الضرائب وهكذا، حيث كان القلم أنيسه في القوة والنفاذ فهو يستعمله في كل شيء كما اعتبره السلاح الذي يشهره في وجه الظلم"[4].

فقد تأجج الغرض بأسلوب لاذع ظاهره الفكاهة الضاحكة، وباطنه الألم المريء ومن الرسائل ما تميزت بروعة الأسلوب وتضمنت مجموعة من الحكم والجمل والعبارات الحكيمة الفلسفية"[5].

---

[1]– غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع هجري، ص268.

[2]– المرجع نفسه، ص270.

[3]–المرجع نفسه، ص272.

[4]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني القصة العربية والمقالة الصحفية، ط1، المزرعة بناية الإمام– بيروت – 1983 ص 207.

[5]– ينظر. الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص209.

سادسا- الهجاء:

الهجاء في اللغة الشتم بالشعر، جاء في لسان العرب " هجاه، يهجوه هجوا تهجاء ممدود: شتمه بالشر، وهو خلاف المدح.

قال الليث: هو الوقيعة في الأشعار... وهم يتهاجون: يهجوا بعظهم بعظا وبينهم أهجوه وأهجية ومهجاة يتهاجون بها بينا في الاصطلاح: فهو غرض من أغراض الشعر تناول فيه الشاعر بالذم والتشهير عيوب خصمه المعنوية والجسمية، وهو نقيض المدح، لأن المدح يذكر الفضائل والهجاء يذكر الرذائل"[1]

وربما كان الهجاء أعنف من المدح لأن طبيعة العاطفة التي يصدر عنها الهجاء متفجرة متنمرة والمجتمع البدوي المتنمر بصورة دائمة بالهواش **والمصاولة** يتلقى هذه العاطفة كما يتلقى الهشيم البائس الشرارة، فيحترق بها ويحرق غيره ويبدوا أن خوف العرب من الهجاء كان أظهر من ارتياحهم للمدح، وأنهم كانوا ألسنة الشعراء الحداد على حذر وليس من المستغرب أن تنفر نفوس العرب من الهجاء وأن يتحول نفورها إلى جزع وهلع لأن الهجاء على اختلاف دواعيه ومراميه صورة من صور الحياة الشائعة ولعل الوحشية والانقباض والنقمة والحقد والعداوة، لعل هذه الأحول جميعا تنعقد في نفس الشاعر وتتضاعف وتتطور، وتنصهر بعضها بعض في أعماق الوجدان وتصدر إلى محسوس عن تلك الضلال الشعورية الموحشة .... فإن الهجاء يعبر عن وجوه القبح واليأس. إنه تجسيد لملاح الشر والإختلال"[2].

ولم يكن الهجاء عند العرب في اعتبار السباب و الإفحاش ولكنه سلب الخلق أو سلب النفس، أوفصلا لمرئ من مجموع الخلق الحي الذي يألف قومية الجماعة وتركه عضوا ميتا يتواصفون ازدراءه ويحركه جسم الأمة حركة جامدة كلما نهض أو تقدم ولا جرم كان للهجاء عندهم ذلك الشأن، فالهجاء عندهم قسمان: قسم يسمونه هجو الأشراف: وهو مالم يبلغ ليكون سبابا مقدعا، بل هو التضريب بين الأ حساب، وتعليق الكلام على الأخلاق

---

[1]- غازي طليمات: الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه، فنونه، ط1، دار الإرشاد بحمص، 1992، ص179.

[2]- المرجع نفسه، ص182،180.

يمتص منها مادة الحياة، وقسم هو: السباب ولا يعبأون به لأنه هجو المهجوين بطبيعتهم وهم السفلة، فليس يجنح إليه الشاعر إلا إذا عجز إصابة المغمز الذي يكمن فيه الألم من الموضع الصحيح[1].

ولما صار للهجاء في القبائل هذا الشأن واعتقدوه سياسة صار البيت الواحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد والفعال فيدور في الناس دوران الرحى، وكان الشعراء يعرفون تاريخ الهجاء في القبائل .

والهجاء فن أدبي قديم رافق المديح مند عصر ما قبل الإسلام. وكان أول أمره يدور على التعبير بوضاعة النسب والبخل،والفقر والقعود عن الغزو، والتقصير في حماية الجار والعجز عن أخد الثأر والانهزام في الحرب، والاستسلام للأعداء، واستساغة الظلم، ولما أطل الإسلام وأشرق نوره على الناس قبح الهجاء وعده إثما ولذلك فتر هذا الفن في عصر صدر الإسلام ولكنه نما، وزاد شرره في العصر الأموي وأخذ يتناول المثالب والمعايب واحترفه شعراء النقائض احترافا، وكان حجم الهجاء في العصر العباسي الأول كبير، وقد تنوعت موضوعاته واختلفت اتجاهاته، والكثير منه كان شخصيا يدفعه الحقد والغضب والحسد والانتقام،وكان يغلب في هذا العصر على فن الهجاء سهولة الألفاظ وبساطة التعبير الميل إلى الشعبية، إضافة إلى أنه انحاز بمقطوعات أو قصائد ليست طويلة منظومة في بحور قصير أو مجزوءة، وكان للنشاط الشعوبي في العصر العباسي الأول دورا كبيرا في بروز نوع من الهجاء عند عدد من الشعراء تعصبوا على العرب وتطاولوا عليهم وتغنوا بمجدهم"[2]

والهجاء ضد المديح وفيه تحديد لعيوب الأعداء وإظهار مقابحهم وذكر مساوئهم والتشييع عليهم والسخط والسخرية منهم وكثر بسببه النزاع القلبي والتنافس على الماء والطعام مما استبح حروبا مستمرة أججت الهجاء بين الفرق المتحاربة، والصدق الفني في

[1]–الرافعي مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب،ط1، مكتبة الإمام المنصورة،ج2، دت، ص73.

[2]– ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، دط، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، 1989، ص29 30، 33.

الهجاء يتحقق أكثر من سائر الأغراض لأن الشاعر لا من أجل الهجاء وإنما استجابة لعاطفة صادقة ومشاعر حقيقية"[1].

ويتصل بموقف الشاعر بمجتمعه، وما يتضمن من قيم، وهو من أخطر الموضوعات في الشعر الجاهلي، ففيه نرى الشاعر يرسم لخصومه النموذج القبح فيصفهم بكل صفات القبح ويسلبهم كل الصفات الفاضلة أو بعضها، وإذا كان الشاعر ينفع قومه بفخره فإنه يستطيع أن ينفعهم أيضا بهجاء خصومهم، فقد كان الشاعر في قبيلته: صحيفتها السائر ولسانها الذي ينشد مفاخرها، ويهجوا أعدائها ويرثي موتاها ويشيد بمكانتها من القبائل الأخرى. فالهجاء سلاح لايقل أثره على الأسلحة التي يستخدمها الجاهليون في حربهم"[2].

وللهجاء دور كبير في توجيه الحياة العربية والمحافظة على القيم فهو الفن الذي يقود حركة المجتمع، وهو الذي يكشف زيف الناس ويقوم الإنحراف، ويتتبع الفساد أنّى كان، ولم يكتفي الشعراء بسلب المهجو فضائله ومروءته، بل إنهم جعلوا نقص الفضيلة عيبا بالإضافة إلى كون الهجاء يمثل السلب في مقابل المدح بمعناه الواسع الذي يمثل الإجابة كما أنه يمثل التنقيص والزراية ويكشف عن قدرته على السخرية ولا شك أنه يؤدي وظيفة نفسية واجتماعية تشبه التطهير، حيث يتخلص الشاعر وقومه من بعض النزاعات بإرضاء ميلهم لتحطيم نموذج يكرهونه، واللافت للنظر أنه قد كان للهجاء أثر سيء على نفس المهجو ولكن من الهجاء مالا يدور حول انتقاء المكارم وإنما يعمد إلى السخرية والاستهزاء[3].

ولا شك أن الشاعر الجاهلي كان حريصا على انتقاد بعض الناس وهجائهم إذا سلكوا سلوكا معيبا، أو غير لائق بالمجتمع و القيم أو إذا قصروا في واجب، أو إذا تخلوا عن مسؤولياتهم اتجاه قومهم[4].

---

[1]– زكرياء النوتي: الأدب الجاهلي تاريخه وقضاياه ،دط، دت، ص101.

[2] – حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2001 ص99.

[3] – المرجع نفسه، ص107،106،103،101.

[4]– المرجع نفسه، ص110.

رسائل الهجاء والذم من الرسائل التي تكشف عن مدى طبيعة علاقات المجتمع واحتكاك أطيافه، حيث تفضي تلك الرسائل إلى الكشف عن مدى انضغام وجهات النظر واختلافها وتظهر كذلك الوجه الآخر لصورة المجتمع، فاختلاط الطبقات وتداخل علاقات الناس وتعارض ميولهم ورغباتهم تولد بعض الأمراض الاجتماعية وخاصة ما يثير الهجاء والذم، وهذا الهجاء دليل على صحة علاقات المجتمع حيث لا يمكن أن يتصور مجتمع تسوده علاقات المودة والصفاء دون شوائب تكدر صفوه، فوجود مثل هذا اللون من الرسائل يدل على واقعية الأدب وصدقه الفني، وقد توزعت رسائل الهجاء بين ذم أخلاق الناس[1].

أمّا الهجاء عند بديع الزمان الهمذاني فيمتاز بالفحش، حيث أتى بصور منه تذكرنا بما نظمه جرير والفرزدق حينما تلاحيا في النقائض، والهجاء عنده يبدوا شيئا جديدا وإن كان شيئا مختلفا عند مختلف الشعراء حيث أتى لنا البديع بصورة متعدد متتابعة متلاحقة يكاد يكون أغلبها نعتا للبخل الشديد فضلا عن كثرة الكنيات اللطيفة وبديع الزمان عندما يهجوا يقوم بالنيل ممن يهجوهم ويسف ويفحش ويأتي بما ينبوا عن الذوق، والهجاء يدفع الكاتب عن استعمال السلاح المدمر المحطم، كما أبدع الهمداني في تصوير البخل ووضع له صورة متتابعة في المعنى الواحد تطبع القول في ذهن القارئ تمكنه من فوائد السامع بحيث يشعر بلذتها رغم فحشها"[2].

كما استعمل الصور الفنية والتشبيهات الدقيقة والسخرية القاتلة وخفة الروح، كما لا يخلو هجاؤه من الطرافة والفكاهة، ونصوص الهمذاني لا تخلو من فائدة رغم فحشها إذ أنها تصور لنا حياة الناس وأخلاقهم في ذلك الزمان وأن ما كان يسمع به في تلك الأزمان ويتداوله الناس في المجالس ويقرؤنه منشورا في الورق لا يسمح به ولا يجرؤ إنسان على الخوض فيه وإلا تعرض لعقوبة القذف والتشهير"[3].

1- سلامة هليل عيد الغريب الرسائل الفنية في العصر المملوكي،ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، 2014 ص148.

[2]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد النهضة العربية والمقالة الصحفية، ط1، المزرعة بناية الإيمان ، بيروت 1983، ص214.، 215، 217.

[3]- المرجع نفسه، ص 217.

وبهذا نرى أن الهمذاني لم يجد أحسن من الهجاء لتجسيد مساوئ الفرد وعيوبه وإظهار الجميل من القبيح وتباين الخير من الشر، كما استعمل الهجاء لأغراض غير أخلاقية بمعنى أن هجاءه يتضمن ألفاظ فيها السب والشتم.

سابعا- العزاء والرثاء:

الرثاء

جاء في لسان العرب: " رثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته، قال فإن مدحه بعد موته قيل: رثاه يرثيه ترثية...ورثوت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه"[1].

أما المعنى الاصطلاحي للرثاء فقد جاء عند عدد من الأدباء والنقاد، ومنهم النويري" الذي رأى أن المراثي جعلت تسلية لمن عضته النوائب بأنيابها، وفرقت الحوادث بين نفسه وأحبائه، وتأسية لمن يبق إلى هذا المصرع، ونهل من هذا المشرع... ثم فصل في باب الرثاء فقال عنه:" باب فسيح الرحاب، والنوادي، فصيح اللسان في إجابة المنادي، ذي القلب الصادي، متباين الأسلوب، مختلف الأطراف، متباعد الشعوب منه ما يصمي القلب بنباله ومنه ما يسليها بلطيف مقاله، ومنه ما يبعثها على الأسف، ومنه ما يصرفها عن موارد التلف"[2].

أما المبرد فقد حصر الرثاء في التعزية، والعزاء هو السلو، وحسن الصبر على المصائب، وأحسن الشعر عنده ما خلط مدحا بتفجع، واشتكاء بفضيلة، لأنه يجمع التوجع الموجع تفرجا، والمدح البارع اعتذارا من إفراط التفجع باستحقاق المرثي، فإذا وقع نظم ذلك بكلام صحيح ولهجة معربة، ونظم غير متفاوت فهو الغاية من كلام المخلوقين وقد قسم أبو البقاء الرندي الرثاء إلى ثلاثة أقسام: التوجع، والتأبين، والتعزية" فالتوجع: يكون بتعظيم الرزء ومكارمه، ووصف ما تحب له، وأما التعزية: فالبعض الصبر والترغيب في الأجر، والتأسي بالسلف فيما حاب عن مجامع الدنيا"[3].

---

[1]- غازي طليمات: الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه، ط1، دار الإرشاد ، حمص 1992، ص194.

[2]- الشموط مهدي عواد: الرثاء في الشعر الأندلسي ،دط، وزارة الثقافة عمان الأردن، 2012، ص22.

[3]- المرجع نفسه، ص23 .

والرثاء فن أدبي يعبر عن الألم والتوجع والتأسف وهو فاصطلاح أهل اللغة بكاء الميت، وتعداد حسناته وتمجيد صفاته ومناقبه بالشعر والنثر، وقد عرف الرثاء منذ عصر ما قبل الإسلام، إذ كان الرجال والنساء جميعا يندبون الموتى، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبنين لهم مثنين على خصالهم، وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجر الإنسان وضعفه أمام الموت، وأن ذلك مصير محتوم"[1].

والرثاء من الموضوعات القريبة إلى النفس وهو يشكل ديوانا كبيرا في أدبنا العربي[2] وهو بطاء الميت والتغني بفضائله، وإظهار لوعة القلب وحرقته بفقده و الأسى لفراقه وبيان مدى خسارة القوم بوفاته[3].

يقول بن رشيق:" ليس بين الرثاء و المدح فرق، ألا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل أن المقصود به ميت... و سبيل الرثاء أن يكون رفيع التفجع، بين الحسرة، مخلوطا بالتلهف و الأسف و الاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا[4].

و دافع الرثاء إكبار يخالطه الوفاء و الجزع،أو حب يساوره التفجع و التحسر، فدافع الرثاء نبيل المنشأ، شريف المقصد،ينبع من حسن الشاعر على إنسان قطع الموت صلته بالأحياء، فليس إلى نيل الصلة من سبيل، و يهدف إلى إفراغ النفس من لواعج لا شفاء لها منها إلا بالبكاء على الراحل و تعداد مناقبه، و لا نستعبد أن ينبع بعض الرثاء من إحساس الشاعر بالصف أمام الموت، بالعجز عن مغالبته فكأنه حينما يحزن على نفسه، إذ يشعر على نحو ما أن موت غيره نذير لموته و كلما كان الفقيد أقرب إلى الفاقد كان إحساسه بالخسارة أشد[5].

وقد يكون الرثاء مرتبطا بشعيرة دينية أو متصلا بجذور أسطورية فكارل بروكلمان يرى أن الكاهن كان يسمى بالشاعر أي العالم، لا لمعنى أنه كان عالما بخصائص فن أو صناعة معينة بل لمعنى أنه كان شاعرا بقوة شعره السحرية...، و كذلك الأغاني القصيرة

[1]– ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي، دط، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل 1989، ص34.

[2] – المرجع نفسه، ص34.

[3]–زكريا النوتي: الأدب الجاهلي تاريخه قضاياه، دط، دت، ص104.

[4]-القيراوي ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دط، دت، ص 308.

[5]– غازي طليمات: الادب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه، ط1،دار الارشاد، حمص،1992م، ص149–195.

التي يرددها البدائي في المواقف الكبرى للحياة الإنسانية من حالات السرور، أو التهيج كان غايتها في الأصل أن تحدث آثار سحرية[1].

كان الرثاء فنا قديما قدم الشعر، إذ أنه مقترن بالموت ذالك المصير المحتوم على المخلوقات جميعا، و هو بكاء الميت، و تغني بفضائله، و إظهار لوعة القلب و حرقته بفقده، و الأسى لفراقه، و بيان مدى خسارة القوم أو الراثي، وكثيرا ما تقام من أجل سماع قصائد الرثاء وكلماته حفلات التأبين"[2].

التعـــــــــازي:

وهي من الأغراض أو المقاصد الجليلة التي طرقها كتاب الرسائل الإخوانية في هذا القرن، وقد كثر هذا اللون من المكاتبات الإخوانية وشاع تبادلها بين الأهل والأقارب أو الأصدقاء أو الخلان، تعبيرا عن مشاعر الحزن والأسى لما ألم بهم من مصاب وجلل بفقد عزيز من ذويهم أو أترابهم وتصويرا بكوا من الحرقة والألم التي خلفتها أحوال الفاجعة، وعظم الرزية، حيث الفراق الدائم والرحيل الأبدي عن عالم الوجود"[3].

ويغلب على هذا الضرب من الرسائل(الإخوانية) عادة صدق الأحاسيس وعمق المشاعر وتتسم أيضا بالبلاغة وجمال الآداب والميل إلى الإسهاب دون إفراط والحرص على إنتقاء الألفاظ الرقيقة الموحيّة، والمعاني المؤثرة مع دقة المسلك، وبراعة التخلص إلى الغرض المراد[4].

وغالبا ما يتشح هذا اللون من الرسائل الإخوانية بالمبالغة وشحوب العاطفة وبرودها،وغلبة طابع التكلف لما تحرك أكثر.

---

[1]– كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ط5، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، كورنيش النيل القاهرة،1919م ص46.

[2]– محمود زروق سليم: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دط، مطابع دار الكتاب مصر، 1957، ص207.

[3]– غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية للقرن 4هـ العراق والمشرق الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2011، ص278.

[4]– المرجع نفسه، ص278.

أولئك الأدباء في تلك المراثي من دواعي الملق والتزلق، والنفاق السياسي وجنوح أكثرهم عن الطبع والميل الواضح إلى الزخرف للفظ أو للصنعة المفرطة، والعناية بالسجع وألوان البديع، وموسيقى الكلام وجرسه"[1].

العزاء تصبير لصاحب المصاب بالرسائل المختلفة ومن تصوير الحياة الدنيا بالتفاهة والفناء وأن الآخر دار البقاء وأن الموت حق وأنه سيف مرفوع على رؤوس العباد وهو كأس محتم على كل إنسان أن يشربه وحوض لا بد لكل بشر أن يرده، وهكذا من هذه المعاني المتداولة غير أن العزاء والتصبير لايؤتي ثمرته إلا إذا أختيرت ألفاظه ونسقت معانيه بحيث تأتي ملائمة لنوع المصاب وظروف المحنة"[2].

ويعد العزاء والرثاء من الفنون التي تناولها بديع الزمان الهمذاني وقد جمعت هذه الرسائل بين العزاء الجميل والنصح الثمين، ويتصف بالإيجاز والتأثير في النفس والحس كما تخلل رسائله النصح والإرشاد بطريقة أخاذة وأسلوب عذب ومعاني غنية بالنصائح والخلق الكريم كما ينصح بديع الزمان الهمذاني بالابتعاد عن البخل والشح مضيفا على الخلاء صورا منفرة قبيحة متوعدا البخيل بخسران الدنيا وينصح كذلك بصلة الرحم بقوله: "فصل الرحم ما استطعت وقد ر إذا قطعت"[3].

كما كان بديع الزمان مفتون بالعلم والأدب دائما فلا ينسى التوصية به حتى في أحلك المناسبات.

وبهذا فإن الهمذاني يتميز بتدفق وانسياب قلمه بالحكم الممتعة فهو رجل عاطفة وإحساس، وليس أقرب إلى النفوس ولا بشغاف القلوب من فراق عزيز أو رثاء حبيب أو بكاء فقيد[4].

ثامنا- المودة والصداقة:

رسائل الصداقة من الكتب التي تشيع في الأوساط المرموقة في المجتمع، حيث تكتب هذه الرسائل لذوي الجاه والسلطان وأصحاب المكانة الرفيعة، وتجمع هذه الرسائل بين الصفة

[1] -غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية للقرن 4هـ، ص280.

[2]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني القصة العربية والمقالة الصحفية، ط1، المزرعة بناية الإيمان بيروت، 1983م ص 224.

[3]- المرجع نفسه، ص223، 227.

[4]- المرجع نفسه، ص 228، 231.

الديوانية والإخوانية إلا أن الصفة الإخوانية فيها أظهر وأوضح، بما فيها من إبداء للعواطف والمشاعر والأحاسيس وقد جرت العادة أنه إذا تزوج سلطان أو ولده أو بنتهنئة أحد من الأمراء الأكابر أو أعيان الدولة أن تكتب له خطبة صداق تكون في الطول والقصر بحسب صاحب العقد، فتطال للملوك وتقصر إلى ما دونهم بحسب الحاجة"[1].

والصداقة من أهم القيم الاجتماعية إذ عليها يبنى المجتمع كما أنها تحفظ العلاقات بين الأفراد، فالصداقة نوع من المحبة إلاّ أنها أخص منها، وهي المودة بعينها وليس ممكن أن تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة[2].

وعرفها أرسطو بأنها: " عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للآخر مع العلم بتلك المشاعر المتبادلة بينهما فالصديق هو من يعيش معك والذي يتحذ وإياك في الأذواق والذي تصره مصرتك وتحزنه أحزانك"[3]، والصحبة والصداقة والمحبة والأخوة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع، وركن شديد بها يمنع الضيم، وتنال الرغائب وتنجح المقاصد[4].

أمّا الهمذاني فقد تناول رسائل الود والصداقة، وكتب رسائل مودة ومحبة إلى أصدقائه، أو ردود على رسائل وصلت إليه، وهي أشبه ما تكون بالخطابات العادية وليس فيها من الجديد إلا الأسلوب السجع الذي نبغ فيه البديع ولكنها مع ذلك رسائل جديرة بالدراسات والنظرة لكن الهمذاني عرف بين كتاب الرسائل بأنه كتاب إخوانيات وهذا النوع من الرسائل لا يخلوا من الطرافة بل ولا يزال النموذج الحي لمن أراد أن ينشأ رسالة موفقة أو خطابا رقيق الأسلوب، مشرق الدباجة بليغ العبارة"[5].

---

[1] – سلامة هليل عيد الغريب: الرسائل الفنية في المملوكي، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2014 ص 195.

2– ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط1، المطبعة الحسينية المصرية،ن 1329هـ، ص 116.

3– أسامة سعد أبو سريع: الصداقة من منظور علم النفس، دط، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1993، ص 15.

4– عبد الرحيم محمد: الصداقة والأصدقاء في الشعر العربي، ط1، دار الكتب الجامعية، سنوفير، لبنان، مجلد11 ص11.

[5] – الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمدانيي رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ط1، المزرعة بناية الإمام، بيروت 1983، ص 232.

كما يمكن أن يتضمن هذا النوع من الرسائل عند الهمذاني على شوق وود وعتاب رقيق، وتحيات إلى بعض الناس وبراعة في الاستهلال الشعري الرقيق وتحيات إلى بعض الناس وبراعة في الاستهلال الشعري الرقيق"[1].

وبالتالي أغلب هذه الرسائل عند الهمذاني تشرح الشوق وتزجي التحية وتستفسر عن أحوال بعض من عرفهم، وطابع هذا النوع الرقة والسهولة والبساطة"[2].

تاسعا- النصح والحكم:

النصح: نصح الإنسان للإنسان بالبيان، أن يدّله على ما هو خير له، ويرغبه فيه، ويحثه عليه، ويبين له ما يحب من عاقبة حسنة، إذا أخذ بما نصحه له، ويكره من عاقبة سيئة إذا لم يستجب لنصحه، بشرط أن يكون هذا البيان خاليا من الغش والخديعة والتوريط فيما لا خير فيه"[3].

فالنصيحة هي المقالة الهادية إلى الخير المنصوح، الخالية الخالصة من دَخَل وغش له، وأصل النصح الخلوص من الشوائب المخالفة لجوهره، وتوجه النصيحة لكل من يدركها ويمكن أن ينتفع بها، ولو كان كافرا رافضا الاستجابة الدعوة إلى الإيمان والإسلام"[4].

ومن شواهد استعمال النصيحة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْم لَيْسَ بِي ضَلَالَة وَلَكِنِّي رَسُول مِنْ رَبّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة الأعراف آية٦٢.

الحكمة:

فن من فنون النثر العربي تهدف على النص والإرشاد والموعظة وهي قول موجز يتضمن حكما مسلما في الحث على الخير أو الكف عن الشر والعرب على بداوتهم أكثر الناس إرسالا للحكمة وضرب الأمثال لاقتدارهم على ألسنتهم ولمطالعة الكلام لهم ولتفرغهم

---

[1] -الشكعة مصطفى: ببديع الزمان الهمدانيي رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ط1، المزرعة بناية الإمام، بيروت 1983، ص236.

[2] - المرجع نفسه، ص 238.

[3] - عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، 1996، ص18.

[4] - المرجع نفسه ، ص18، 19.

لصناعة الكلام، و المساجلة بالبيان، وقد تجئ الحكمة في الشعر، وللحكمة فائدة أن يصمنها الكاتب أو المتكلم عبارته، فلا تزال تورثها من البهاء والقبول، ويرتفع به جانبها ويشرف حسبها فتكون أمتع في الصدور وأنقى في الأسماع وأسير في الآفاق إلي تثيره في النفوس إلى حب الفضيلة والهداية إلى مكارم الأخلاق وصالح الأعمال[1].

والحكم جمع حكمة وهو قول رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما به وتتسم بالإيجاز وقد اجتمع لعرب الجاهلية ما مكنهم من الإجادة في الحكم والأمثال إجادة بالغة فقد نظروا في الحياة نظرات فانية،بحكم البيئة الصعبة التي تمرسوا فيها فأصابوا منها خيرات واسعة وأعانتهم سليقتهم على ذالك فهم أصحاب البيان وليس شرطا أن يكون أصحاب الحكمة من المسنين الذين مدت لهم الحياة في حبال العمر، ولا من الذين اصطبغوا بصبغة تلك الأحداث أو شاركوا فيها، وإنما تكفي النفس الحساسة والبصيرة النافذة التي تستطيع أن تنفذ إلى أعوار النفس وأسرار الحياة وأخلاق البشر إن قصرت بأصحابها الأعمار[2].

والحكمة قول رائع موافق للحق سالم من الحشو وهي ثمرة الحنكة ونتيجة الخبرة وخلاصة التجربة"[3].

وكان العرب في الجاهلية شديدي الميل إلى إرسال الحكمة لتزين كلامهم وتقويتهم وقد حاولوا جمع تلك الحكم وهي إما عربية مما قالته حكماء العرب، وإما أجنبية مما وصل إلى العرب عن طريق التمازج والأسفار وأصحاب الكتاب، وكانت منزلة الحكيم عند الجاهليين بمنزلة الشاعر بل ويفوقه رتبة وكانت القبائل ترجع إليه في حالتي الحرب والسلم"[4].

ويعرفها ابن سينا بأنها:" استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة البشرية"[5].

---

[1]– محمد هاشم عطية: الأدب العربية تاريخه في العصر الجاهلي، ط1، مطبعة مصطفي البابي وأولاده، مصر، 1936 ص180،181.

[2]– النوتي زكرياء: الأدب الجاهلي تاريخه قضاياه، دط، دت، ص179.

[3]– الزيات أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، دط، نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دت، ص18.

[4]– ينظر. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ط1، دار الجيل ، بيروت– لبنان– 1986، ص ص112،111،113.

[5]– ابن سينا: عيون الحكمة، ط2، تح. عبد الرحمان بروي ، دار القلم ، بيروت – لبنان، 1910، ص31.

ولما كانت الحكمة مرتبطة بالحياة فإنها لا تبقي أفكارا عامة مجردة لوجه الحق بل تتأثر بالبيئة التي تكنفها، وبالعصر الذي تظهر فيه، وبالأشخاص الذين يصنعوا لها فلكل شاعر لون خاص، وذلك لاختلاف طبائعهم وتباين نظراتهم إلى الحياة والواقع[1].

أما بديع الزمان الهمذاني فقد تناول غرض النصح والحكم وكتب رسائل قيمة تدل على ثاقب فكره، ونافذ بصره ودرايته بصواب الأمور، وليس ذلك بعزيز عليه فقد هام في الآفاق واختلط بالناس من مختلف المقامات والمشارق، سار في البر وحلب شطري الدهر فاكتسب التجربة والحكمة والعين البصيرة، فإذا ما كتب في الحكمة كانت حكمته عميقة وإذا ما أسدى النصح كانت نصائحه ثمينة غالية.

عاشرا- الوصف:

ورد الوصف في لسان العرب لابن منظور بمعنى: وصف الشيء له وعليه وصفا وصفةً: حلاّه وقيل: الوصف المصدر والصفة الجلية، الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ولغته وتواصفوا الشيء من الوصف[2].

قال تعالى :"وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" سورة يوسف الآية18.

لقد اقترن الوصف منذ البداية بالحرص على نقل جزيئات العالم الخارجي، و تقديمها في صور أمينة تعكس المشهد، و تحرص على تصوير المنظور الخارجي كل الحرص[3]

و عرف البقلاني الوصف بقوله: "تصوير ما في النفس و تشكيل ما في القلب حتى تعلمه و كأنك مشاهده"[4]

الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره وإقصائه و هو مناسب للتشبيه، مشتمل عليه وليس به، لأنه كثيرا ما يأتي في أضعافه، و الفرق بين الوصف

---

[1]- غازي طليمات : الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه، ط1 ، دار الإرشاد، حمص، 1992م، ص208.

[2]- ابن منظور: لسان العرب،ص305.

[3]- جابر عصفور: الصور الفنية، ط3، المركز الثقافي العربي- بيروت- الحمراء،1992،ص363.

[4]- الفريح هيفاء: تقنيات الوصف، ط1، النادي الأدبي والمركز الثقافي العربي، بيروت 2009م، ص28.

و التشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء، و أن ذاك مجاز و تمثيل[1]قال قدامة بن جعفر: " الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء وإنما يقع على الأشياء المركبة عن ضروب المعاني كان أحسنهم وصف من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها"[2].

الوصف هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتكوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق"[3].

وقد وصف الشعراء العرب ما أحاطت به معارفهم، وأدركه عيانهم ومرت به تجارتهم ولا تعدو أوصافهم ما رأوه في باديتهم، وحين يطلق الوصف غرضا مستقلا فإنه يراد به وصف الطبيعة صامتة وصائته[4].

الشعراء فنانون مبدعون يرسمون بالكلمات ما يرون، ويصورون ما يشاهدون،ويصفون ما يحسون به، ومن ومن هنا كثر نتاجهم الشعري في غرض الوصف وقد خصه الدارسون القدامى والمحدثون، بعنايتهم ورعايتهم وأفردوا لها أبوابا في مؤلفاتهم واختياراتهم وأنّ الشعر العربي زاخر بأوصاف كثيرة منتزعة من البيئة[5].

انصرف أكثر الشعراء إلى الوصف، فلم يتركوا شيئا مما وقع تحت حسهم في البيئة المصرية والشامية إلا أن وصفوه، فوصفوا مراثي الأرض ومناظر السماء وحدائق مصر وبساتين الشام وغيرها "[6].

وأقدر أنواع النثر على مجاراة الشعر الوصف والمحاورة، لأن صور الوصف أمد الصور النثرية أجنحة،أكثرها عناية بالجمال، ولأن المحاورة تبث في الكلام حياة متدفقة تحول الأفكار المجردة إلى مشاهد مسرحية متحركة[7].

---

[1]– القيرواني ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر، دط، دت، ص404.

[2]– النوتي زكريا:الأدب الجاهلي تاريخه و قضاياه، دط، دت، ص94.

[3]– المرجع نفسه، ص95.

[4]– ناظم رشيد: الأدب العربي في العصر العباسي،دط،دار الكتب للطباعة و النشر، جامعة الموصل،1982م،ص47.

[5]– محمود رزق سليم: الأدب العربي و تاريخه،دط،مطابع دار الكتاب العربي ، مصر،1957م،ص68.

[6]– غازي طليمات:الأدب الجاهلي،ط1،دار الارشاد،حمص،1992م،ص577.

[7]– غانم جواد رضا الحسن: الرسائل الأدبية النثرية في ق4 هـ ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،2011م،ص262.

الرسائل الوصفية هي الرسائل التي انطوت على وصف المشاهدات الشخصية، وقد شملت وصف الأمور المحسوسة وغير المحسوسة من المعاني والصفات الدقيقة التي إدراكها أو تحليلها عن طريق العقل أو الوجدان[1].

والوصف أحد الفنون البارزة والأساسية في الشعر العربي منذ أقدم عصور الأدب عند العرب، إذ كان هذا الفن الشعري محور إبداع الشاعر المرهف الحس في تجربته الشعرية والأرضية التي يفرغ عليها كل طاقاته الإبداعية وخزينه الفني المتدفق، وعندما بدأ النثر الفني يزاحم الشعر في طرق موضوعاته وأغراضه،وخوضه فيما هو من أساليبه،ومركزاته الأساسية، كثر الوصف في فصول النثر وبخاصة في الرسائل الأدبية[2].

والكتابة الوصفية هي ذالك النوع الدقيق الرقيق الذي يعمد المترسل إلى تحديد الغرض وتبين الحقيقة و الإفصاح على الخبئ الكامن، و هي أحوج ما تكون إلى ثورة عظيمة من الألفاظ و التشابه و قيم راسخة في ساحة الأدب و ميدان البلاغة، و ليس بعجيب أن تعد نوعا مستقلا وقسما ليس تابعا لغيره[3].

أما الوصف عند بديع الزمان الهمذاني فلا نكاد نلمس و نحن نستعرض رسائله فصولا منفردة بذاتها عنه، و لكنا نلمسها غالبا مستترة مبعثرة حينما يمدحها إنسانا أو يهجو آخر، فليس تصوير الممدوح صورة جميلة أو الباسه حميد الصفات و حلو الشمائل إلا نوعا من أواع الوصف الذي يتفق و مزاج المادح وان كان في الواقع وصفا خلقه المادح للممدوح خلقا، و يظهر الوصف جليا عند البديع حين يكتب في الإخوانيات، و يمتاز البديع بطول نفسه في الوصف و اتباعه المعنى بآخ، و توليد الصور المختلفة و ان تقاربت[4].

---

[1]– غانم جواد رضا الحسن:الرسائل الأدبية النثرية في القرن4هـ،2011، ص262.

[2]– المرجع نفسه،ص301.

[3]– عبد العزيز محمد عيسى:الأدب العربي في الأندلس، دط، مطبعة الاستقامة بشارع أمام الغلام رقم 14 بالحسين– القاهرة،1945م،ص81.

[4] – الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية،ط1،المزرعة بناية الايمان– بيروت،1983م،ص245.

كما لا يخلو وصف البديع من الطرافة فقد جمع بين صيغة المرح و روح السخرية و كذلك يتميز وصفه بالبساطة و السهولة البادیتان في كتابته الخالية من الكلفة و العسف[1].

إحدى عشر- الشؤون االعامة والصحافة القديمة

يعتبر هذا الغرض من الأغراض التي أولاها بديع الزمان عناية واهتمام، وهو أول من تفطن لهذا الغرض دون غيره من سائر الكتاب المعاصرين له "ومن عجب أن ينفرد بديع الزمان بهذا الاتجاه البنائي أو التوجيهي أو النقدي دون سائر الكتاب المعاصرين له"[2].

وقد كتب في هذا الغرض انطلاقا من أحوال المجتمع وعلاقات الناس بينهم ومختلف الشؤون العامة في مشاكل وآلام، كما كتب في شؤون الدولة والسياسة وما يتعلق بها من جور الحكام أو كل مايتعلق بالسياسة " لم يتخلف عن تسجيل حياة العصر وتصوير آلام الناس وشكواهم ومعالجة مشاكلهم، يكتب في شؤون الدولة المختلفة من سياسة وحرية وتنوير الحكام"[3]، فقد لجأ في كتابه إلى النقد تارة والتوجيه والنصح تارة أخرى وإلى اللين والرفق تارة وإلى العنف وشدة ويأس حين آخر "وكان يقرن أديبنا كتابته بالنقد تارة والتوجيه والنصح تارة أخرى أحيانا في رفق ولين وهوادة وأحيانا في عنف وشدة وبأس"[4].

وكانت كتابته في هذا الغرض عادية يبسط المشاكل في بلاغة وقوة وبيان وجلاء رائده اللين الأناة حينا، والشدة والعنف أحيانا"[5]

---

[1]- المرجع نفسه،ص248،246.

2-الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية، ص249.

3-المرجع نفسه،ص 249.

[4]- المرجع نفسه، ص249.

[5]- المرجع نفسه، ص254.

المبحث الثاني: الدراسة الموضوعاتية لرسائل بديع الزمان الهمذاني

كتب البديع مجموعة من الرسائل في أغراض مختلفة(كالمدح، الهجاء، الرثاء...) وغيرها من الأغراض الأخرى والتي تختلف باختلاف الموضوعات، التي تطرقت إليها الرسالة وقد سبق أن ذكرنا أن الرسائل قد تقمصت أغراض الشعر في مختلف مراميه وموضوعاته ومعانيه، وقد تصرف الهمذاني في فنون الترسل،وتفنن في ضروب الرسائل ومن الموضوعات التي طرقها والأغراض التي تناولها في رسائله ما يلي:

1) المدح:

كتب بديع الزمان كثيرا من الرسائل في المدح تباينت مقاصدها وتعددت أشكالها ومن بين هذه الرسائل رسالته الموجه إلى أبي "نصر الكالي" يمدحه فيها فقد شبه ممدوحه بالبحر كناية عن الكرم والجود وشبهه بالسيف كناية عن الشجاعة والحزم وبأن أفضاله شهيرة شائعة تنطق بها الأشعار[1] وذلك من خلال قوله: ".... والبحر وإن لم أره، فقد سمعت خبره، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأت أكثره، وإذا لم ألْقهُ، فهل أجهل خلقهُ، وما وراء ذلك من تالد أصل ونسب، وطارف فضل وأدب، وبعد همةٍ وصيتٍ تشهد بذلك الدفاتر، والخبر المتواتر وتنطق به الأشعار..."[2]

كما افتتح رسالة بجملة دعائية علا خلاف الرسائل التي تبتدئ بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله من خلال قوله: " كتابي أيد الله الأمير وبُود أن أكونه"[3]

وأن الهمذاني يميز بعقله، كما اعتقد على جمل قصيرة مسجوعة: " ولعلّ ما أوضح ما يلاحظ على رسالة المدح، البسطة في الموضوع وتريد المعنى الواحد بصور لشتى وصيغ مختلفة"[4].

---

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ط1، الزرعة بناية الإيمان، بيروت 1983م، ص180.

[2]– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ط3، طبعت في مطبعة هندية، 1898م، ص 146،147.

[3]– المصدر نفسه، ص 146.

[4]– مرجع سابق، ص259.

وفي رسالة أخرى كتبها في نفس الغرض إلى الشيخ أبي نصر وجدنا مدحه فيه سهولة وليسر وخفة وروح وجميل من بديع الزمان أن يجعل ممدوحه مطاردا من المكارم يهرب منها فتتبعه ويطرحها فتتعلق بأذياله"[1]، ومثال ذلك ما جاء في الرسالة في قوله: ".... والشيخ لوهرب من مكرمة لتبعته، ولو طرحها لعلقته، ولو لم يأتها مختارا لأتته إجبارا"[2] وبديع الزمان لا ينسى أن يبدع نفسه مع من يمدحه وذلك من خلال قوله: " ... ولا مثلي أسيرا في يده يطويه بلسانه، ويحشره بإحسانه..."، وبديع الزمان يعمد في رسائل المدح بانتقاء الألفاظ الموسيقية العذبة الجرس الحلوة الوقع على الأذن حتى تبدو الرسالة في أكثر الأحيان كأنها قطعة موسيقية رقيقة الصدى بارعة النغم، ويتجسد ذلك من خلال قوله: "وكذا المجد لا ينفعك عن المجيد، لجو الحديد، ولا ينسد على المسود بالجبل السود"[3]، وهي ألفاظ تترك نغم موسيقي لدى المتلقي.

وفي رسالة أخرى كتبها إلى الإمام أبي الطيب من سرخس يدور موضوعها حول وصف أميرها أبا جعفر وقد تميز مدحه في هذه الرسالة بالتفنن وإضفائه من الصفات الجليلة الشيء الكثير، مولدا الأخيلة الكثيرة والصور الجميلة وذلك من خلال قوله: " وسلطان يحلم حِلم السيف مغمدًا، ويغضب غضبه مجردا، فهو فهو عند الكلام لين كصفحته، وعن السادسة خشن كشفرته" كما يصفه بأنه كريم بنشأته، وأما الشر والضر فلا يفعله إلا متكلف ثم يفصل قائلا:" عطارد قلمه ودواته مريخ سيفه وقناته"، حيث اعتمد في هذه الجملة على التشبيه وهو تشبيه جميل مقبول والمناظرة بين الألفاظ محبوكة إذ أن النجم عطارد يكنى به عن النور والإشراق والمريخ يكنى به عن الظلمة والقتام، كما يمضي البديع في وصفه بالكرم بعبارة يكررها للتأكيد وذلك في قوله:" إن حكمه في ماله أنفذ في حكمه وقسمه من غناه أكبر من قسمه ويده إلى خزانته أسرع من يده"، وهذه كلها معاني مطروقة إلا أن حلاوتها تجلت في جمال الصوغ وحسن العرض وبراعة التصوير[4].

و في رسالة أخرى كتبها إلى الرئيس أبي جعفر الميكالي يمدحه فيها حيث تناول غرض المدح بأوصاف غير مألوفة مخالفة للمعتاد و من أهم هذه الصفات التي وصفه بها

[1] – الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص 181.

[2]– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني،ص138.

[3]– المصدر نفسه، ص138.

[4]– مرجع سابق، ص182.

الكرم و الجود و الفضل ينصب الشباك و الشراك لاصطياد الإخوان و الأصدقاء و الأحرار من أجل جميل عشرته و فضله[1].

وفي رسالة أخرى كتبها إلى الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي حيث افتتح رسالته بجملة دعائية قصيرة "كتابيّ أ احلل الله بقاء الشيخ الفاضل الإمام" ثم تكلم عن قصة الخلفاء الراشدين ووصف أخلاقهم وصفاتهم وبعدها قارن بين علماء ذلك الزمان والخلفاء الراشدين وخلص إلى أن العلماء أفضل من الخلفاء وذلك في قوله "ولعمري العالم أولى بكرامة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– من خليفة زماننا هذا... " وسبب ذلك أن العلماء يجتنبون في البحث والتجديد والتفتيش في الحديث وضبط الأصل واخراج الفرع بينما الخلفاء لا يبذلون جهد حيث قال: " إن العالم لا يجدد رسومه ويدرس علومه ويفتش حديثه ويضبط أصوله ويخرج فروعه، وإن الخلفية لا يؤوله خلافا، ولا يؤولون جزافا"[2]

كما أمعن البديع في السجع كل الإمعان، وأفرط كل الافراط، فأتى بأشكال جديدة وصور غريبة ، وهو يكثر منه إلى حد الإتيان بعشر سجعات على شكل فواصل متتالية"[3]، مثل قوله: "... جاءنا يصحب السرير ويسحب الحرير ويفرش الحصير ويخوض العبير، ويخلف بزعمه رجلا كان يقتات الشعير، ويعرو ري البعير ويركب الحمير، ويكلم الصغير ويجالس الفقير ويوأكل الأسير ..."، وكثير ما كان البديع يأتي بفقرات من النثر ويكملها بأشطر من الشعر ويكملها بقوله: " وهو بحمد الله إن ذكر الشرف كان بذروته، أو الدين تمسك بعروته، أو العلم احتبى بعقوته، أو العلم تعلق بحبوته" ويكمل رسالته ببيت شعري حيث يقول:

ليت شعري من هذي فضائله ماذا الذي ببلوغ النجم ينتظر[4].

2) الكدية و الاستجداء:

كتب الهمذاني العديد من الرسائل في هذا الغرض و من أمثلة استجدائه رسالة كتبها إلى الشيخ العميد يستجديه فيها مستفتحا إياها بجملة استفهامية في قوله:" أين تكرم

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص183.

[2]– المرجع نفسه، ص184.

[3]– المرجع نفسه، ص 265

[4]– المرجع نفسه، 184، 185.

العميد على مولاه، و كيف معدلة إلى سواه؟"[1]و هو استفهام غير حقيقي لا ينتظر منه جواب، فبديع الزمان يهدف من خلال هذه الرسالة إلى مقصده براحة تامة غير أنه يلعب بالمعاني قائلا:"أم ينتظر سؤالي؟ وإنما سألت يوم أملته و استمحته حين مدحته"[2] ثم يعمد بعد ذلك إلى التطرف و الأطراف بجمل سريعة متتالية حين يقول:"أم أظن أني أرد صلته و لا ألبس خلعته. و هذه فراسة المؤمن إلا أنها باطلة"و يستطرد:" أم يتوقع صاعقة تملكني أو داهية تهلكني فهذا أمل موفور لأن شيخ السوء باق معمر"[3] و هذا منتهى الظرف و الطرافة و كأنما البديع قد تقمص في هذه الرسالة الروح المصرية القاهرة المرحة ناثرا ملحه العذبة و تهكماته اللطيفة مسلسلة من أول الرسالة إلى آخرها عله يصل إلى قلب الشيخ فينال مايريد و يحصى بما يبتغي و تلك حيل بارعة و سبل ناجحة في عالم الكدية.

و أما السجع و الطباق فقد استعملها في هذه الرسالة بكثرة و أمثلة قوله:"و إنما سألت يوم أملته، و استمحته حيث مدحته، واقتضيته وقت أتيته، و انتجعت سحابه، لما أتيت بابه"أما بالنسبة للطباق فنجده في الكلمات التالية (الظلمة و النور، الشكر و الكفر)[4].

و في رسالة أخرى كتبها إلى عدنان بن محمد رئيس هرات ردا على جواب له، نلاحظ في هذه الرسالة أن البديع يبدؤها بالمديح ثم ينهيها بالطلب الصريح:"... و رد كتاب الرئيس فأتت ورود النعم تتراء لي، و مثلت لدي و بين يدي، و وجدت الشيخ قد أخذ مكارم نفسه، فجعلها قلادة غرسه، وتتبع المحاسن من عنده، فحل بها نحر عبده، وما أشبه رائع حلّيه في نحر وليه، بالغرة اللائحة، على الدهمة الكالحة... وفكرت في مراد الرئيس فوجدته لا يتعدى الكرم لسبب تارة، والفضل تارة...فليستفتح كل منّا إلى صاحبه بما عنده، فأبعث بما عندي وهو المدحة،ليبعث بما عنده وهو المنحة، وهاهو قد أورثت سلعتي فليصدر خلعته وقد أنفذت وإذا أنفذ أخذت"[5]فبديع الزمان يمدح رئيس هرات أولا ثم يتدرج في استجداء الرئيس، وكانت الغاية من ذلك التكسب والعطاء.

---

[1]– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني،ص102.

[2]– المصدر نفسه،ص102.

[3]– المصدر نفسه،ص.102

[4]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص189.

[5]– مصدر سابق، ص 111.

ومن رسائله في هذا الغرض كذلك رسالة كتبها إلى أبي لضر بن المرزبان مستفتحا إياها بجملة دعائية قصيرة مكملا إياها بالكدية والاستجداء:" لا أزال –أطال الله بقاء الشيخ– لسوء الانتقاد، وحسن الاعتقاد، أبسط يمين العجل، وأمسح جبين الخجل، ولضعف الحاسة في الفراسة أحسب الورم شحما والسراب شرابا، حتى إذا تجشمت موارده لأشرب باره لم أجد شيئاّ، وما حسبت الشيخ ممن تجبنه هذه الحملة وتشمله هذه الجملة حتى عرضت على النار عوده وسيرت بالسؤال جودا، وكاتبته استعير حلية كمال سحابة يوم أو شطره، بل مسافة ميل أو قدره، فغاص في الفطنة نوما عميقا،ن ونظر في الكيس نظرا دقيقا وقال هذا مشحوذ المدية في أبواب الكدية...، وكلا فما في أبواب الردّ أقبح مما قرع ولا في شرائع البخل أظهر مما شرع، ثم العذر من جهتي مبسوط إن بسطه الفضل...، فمن لا يستح من أعطني من أعفني، وعلى حسب جواده، أجري المودة من بعدُ، فإن رأى أن يجيب فعل إن شاء الله"[1].

هذه الرسالة عجيبة في بابها فالذي لا شك فيه أنها كدية واستجداء ولكن في قالب مستور وهذا القالب هو التقريع والتوبيخ فهو يستهل رسالته بجملة من التوبيخ بل الهجاء المرّ مضفيا على أبي نصر ألوان البخل والشح، ولكن لا نكاد ننتهي من قراءة الرسالة، حتى نجد البديع قد بدأ يتودد إلى الرجل من جديد،ويطلب إعادة الحال القديمة وهي الصداقه والود إلى ما كانت عليه ويستطرد قائلا: "فمن لا يستحي من أعطاني لم يستح من أعفيني" وهذه الجملة في وضعها هذا تعبر عن الكدية، فهذه الأخيرة لها ألوان وأشكال فهو تارة صريح في رسائله حيث يستفتح الرسالة بالاستجداء ويختمها، به وتارة يتحايل بالنكتة الحلوة والملحة المضحكة وتارة يعمد إلى البداية بالمدح، والنهاية بالكدية المقنعة، وتارة يبدأ بالمدح وينتهي بالكدية الصريحة، وأحيانا يسوق الاستجداء ضمن رسالة من التوبيخ والتقريع، ومهما يكن من أمر البديع لطيف في استجداءه ماكر في اكتدائه غير مثقل ولا ملحاح[2].

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص192،191.

[2]– المرجع نفسه، 193،192.

3) الاعتذار والاستعطاف

ومما كتب الهمذاني في هذا الشأن رسالة بعثها إلى الشيخ الإمام الطيب جاء فيها: "...أن أطال الله بقاءه الشيخ الإمام بصير بأبناء الذنوب، وأولاد الدروب،أعرفهم بشاعة، وأثبتهم بعلامة، والعلامة بيني وبينهم أن يفسد الصنيع على صانعه، ويحرف في الكلام عن مواضعه، ويرموا في الحكاية سهم الشكاية، ويجيلوا في الشكاية قدح النكاية، ثم لا يرون النكاية إلى السعاية...، والذي فاوضنى القاضي في معناه جليٌ في بابه ماحكاه، يجمع هذه الخصال وقيادة وينظم هذه الأوصاف وزيادة فلم يبعد الشيخ عن مثله أن يكذب؟ الطهارة أصله أو نجابة نسله، أم حصانة أهله أمر جاحة عقله أم ملاحة شكله أم غزارة فضله! ... ويأنسني وحيدا ويصطنعني مبديا ومعيدا وكان بقدر أنه إذا رآني أفعل شنيعا أو وسمع أني ألفظ بنكر لم يأل في تحسين أمري فعل الوالد بولده"[1].

ويعود سبب الاعتذار في هذه الرسالة إلى وشاية قام بها بعض الناس للإيقاع بين الإمام والبديع، فقد قام بالاعتذار بإقامة الدليل والحجة القوية والمنطق، فقد كذب الواشي ووصفهم بالسفاهة وقبح أفعالهمبفضح أخلاقهم وصفاتهم سوءاتهم، ثم اعترف البديع للإمام بفضله ومعروفه وكرمه مما كان له أجمل الأثر في النفس، فقد اعتمد على الأسلوب العذب والعبارات المتسلسلة والحجة القوية والفقرات المنتقاة التي تنساب عن العقل والفؤاد والوجدان فقد تكون العبارة البليغ في كثير من الأحيان ماحية للذنب وإن عظم[2].

وفي رسالة أخرى في الاعتذار كتبها إلى القاسم الكرجي جاء فيها: "يعز عليّ أطال الله بقاء الشيخ الرئيس أن ينوب في خدمته قلمي، عن قدمي ويسعد برؤيته رسولي دون وصولي، ويد مشرعة الأنس به كتابي، قبل ركابي، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة. وعلي أن أسعى وليس عليَّ إدراك النجاح وقد حضرت داره، وقبلة جداره، وما بي حب الحيطان ولكن شغفا بالقطان، ولعشق الجدران، ولكن شوقا إلى السكان، وحين عدت العوادي أمليت ضمير الشوق على لسان القلم، معتذرا على الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع، وفتور في الخدمة عرض، ولكني أقول:

---

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص194،195.

[2]– ينظر. الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص 195.

إن يكن تركي لقصدك ذنبا فكفا أن لا أراك عقاب"[1]

جاء الاعتذار في هذه الرسالة نتيجة لي تقصير من بديع الزمان في حق زيارة الشيخ وفي هذه الحالة يخلص البديع من ذنبه بالاستعطاف الذي يسيل رقة ويفيض عذوبة ولينا مظهرا للشيخ حرارة الأشواق وآيات الوداد مستعينا بأبيات الرخي الهادي الوديع، والرسالة بمضمونها تنم عن حب متأصل وود أكيد بين البديع والقاسم، ومن هنا كان الاعتذار ومشبعا بروح الصداقة الحقة والإخلاص العميق[2]

كما وظف البديع في هذه الرسالة ألفاظ موسيقية عذبة الجرس حلوة الواقع على الأذن، حتى بدأت الرسالة كأنها قطعة موسيقية رقيقة الصدى بارعة النغم، وهو مع كل ذلك حريص على توليد الصور المختلفة المتلاحقة المناسبة في غير هدف ولا كلفة ولا إعنات[3].

كما كتب البديع رسالة أخرى في هذا الغرض بعث بها إلى مستميح عواده مرارا جاء فيها: " عافاك الله مثل الإنسان، بالإحسان، مثل الأشجار في الإثمار، سبيل من أتى بالحسنة أن يرفه إلى السنة، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي، وهما فؤادي ويدي، أما الفؤاد فيعلق بالوفود، وأما اليد فتولع بالجود... ولي مع الأدب ناذرة: .... واحتيج في البيت إلى شيء من الزيت فأنشدت شيئا من شعر الكميت ألفا ومائتي بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج في توابل السكباج ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع، فما أصنع، فإن كنت تحسب اختلافك إلي، فضلا علي، فراحتي، أن لا تطرق ساحتي، وفرجي أن لا تجي والسلام"[4].

وجاء الاعتذار في هذه الرسالة قائما على الظرف والفكاهة وهو يهدف إلى أن الأدب سوقه راكدةوبضاعته فاسدة لاسعر لها ولا ثمن ومن أولائك الذين يحترفون الأدب الراكد السوق الكاسدة البضاعة، هو من أجل ذلك لا يملك ولا درهما، وفي الأخير يقطع البديع السبيل على مستميحه بقوله:" فإن كنت تحسب اختلافك إلي أفضالا علي فراحتي أن لا

1 – رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص67.

2– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص198

3– المرجع نفسه، ص259.

4–مصدر سابق ، ص136.

تطرق ساحتي وفرجي أن لا تجي"، وهي صراحة لطيفة، والرسالة من أولها إلى آخرها مثال لأدب البديع الضاحك الفكه الساخر"[1] ومن خلال ما وردا في هذه الرسائل نجد أن بديع الزمان كان يجيد أساليب الاستعطاف والاعتذارويتحايل على ذلك بأدبها الرفيع وصنعته الماهرة وصليقته الماكرة وروحه الخفيفة مخترعا الأسباب المقبولة والمعاذير المعقولة مصوبا خطابه إلى وجدان من يكتب إليه[2].

4) العتـــــــاب:

كان بديع الزمان رجلا شديد الحساسية يثور لكرامته ويرعى حرمتها، لا يسكت على ضيم ولا يغمض الجفن على إهانة ومن هنا كان كثير اللوم لمن يحس منه تصغيرا الشأنه ويعد العتاب من أهم الرسائل التي اعتمدها البديع في لومه ومن بينهانذكر رسالة كتبها الشيخ أبي جعفر الميكالي جاء فيها: "لئن سائني أن نلتني بمساءة، لقد سرني أني خطرت ببالك والأمير أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء في حال بره وجفاءه متفضل وفي يومي إذناءه وإبعاده محسن وهنيئا له من حمانا ما يُحله، ومن عرانا ما يَحله ومن إعراضنا ما يستحله، بلغني أنه أدام الله عزه استزاد صنيعه، لكنت أظن أنني مجنيا عليه مساءا إليه... ثم لم يلق إلا في آل ميكال رحله، ولم يصل إلا بهم حبله، ولم ينظم إلا فيهم شعره ولم يقف إلا عليهم شكره، .... وحين عاتبه آمل أعتابه، وكاتبته أنتظر جوابه، وسألته أرجوا إيجابه، أجاب بالسكوت بما ازددت إلا له ولاء، وعليه ثناء لا جرم أني اليوم أبيض وجه العهد، واضح حجة الود، طويل لسان القول رفيع حكم العذر..."[3]

نجد في هذه الرسالة أن الهمذاني يعاتب أبا جعفر الميكالي بسبب تغير معاملته له والتقليل من قدره بعدما كان يهتم به، حيث أسهل رسالته بيت من الشعر وهو يراعى في ذلك الاختيار الجميل والشعر العذب الملتصق مع المعنى، المتناسقة مع الموضوع ليكمل بعدها رسالته بالنثر وقد استنكر البديع المعاملة الشاذة من طرف أبي جعفر الميكالي، بالرغم من

[1] – الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص199،200.

[2]- المرجع نفسه، ص200.

3– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص64.

خدمته وإلقاء رحله إليه، ونظم الأشعار فيه وشكره،ليمضي البديع في هذا العتاب منصورا أبا جعفر الميكالي تصويرا جميلا[1].

وفي رسالة أخرى عتب فيها أبا القاسم الكرجي حيث إستهلها بجملة دعائية قصيرة مثل ما وردت في الأغراض السابقةفقد بدأها بفقرات من النثر ثم ضمنها بيتا شعريا وبعدها أكمل الرسالة بالنثر وهي من الرسائل الطوال إلى حد ما وجاءت على النحو الآتي: "أنا أطال الله بقاء الشيخ سيدي ومولاي وإن لم ألق تطاول الإخوان إلا بالتطويل، وتحامل الأحرار بالتحميل- أحاسب الشيخ أيده الله على أخلاقه ضنا بما عقدت يدي عليه من الظن به والتقدير في مذهبه...

لا أذوذ الطير عن شجر فقد بلوت المرّ من ثمره

فإني فإن كنت في مقتبل السن والعمر فقد حلبت شطري الدهر"[2].

فهذه الرسالة قطعت من الأدب الفريد في عالم العتاب، فبديع الزمان رغم سرعة غضبه ونفوره لا يلقى غضب الإخوان إلا بالتصبر، وتحامل الأحرار إلا بالتحمل

وتلك دلالات على النفس الوفية والأخلاق الرضية ثم يمضي مخاطبا القاسم بقوله: "ولولا ذلك لقت في الأرض مجال إن ضاقت ظلاله وفي الناس واصل وإن رثت حباله "وهو تعبير في منتهى الروعة والجمال، جمع بين المعنى الرائق والصوغ الشائق.

ثم يتحدث البديع عن أخلاقه وتجاربه الكثيرة مفتخرا بهما بعبارات تخاطب الوجدان رغم انه مازال في مقتبل العمر، ونجد هذا في قوله: "فإني وإن كنت في مقتبل السن والعمر فقدت حلبت شطري الدهر، وركبت ظهري البر والبحر، ولقيت وفدي الخير والشر، وصافحت يدي النفع والضر..."[3].

وينساب البديع في هذه التحفة الرائعة وقد رصعها بالمعاني الرفيعة وزينها بالألفاظ الأخاذة ووشاها بالأسجاع والطباق، وأضفى عليها من فتنه الرقيق و أدبه البديع ما يجعلها واسطة العقد بين رسائل العتاب ومثال ذلك قوله: " البُر والبحر، الخير والشر العرف والنكر، الحلو والمر، النفع والضر العسر واليسر"[4].

1- ينظر. الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص 262.

2 - رسائل أبي الفضل بدبع الزمان الهمذاني، ص65، 66.

3 - مرجع سابق، ص204.

4- المرجع نفسه، ص204.

وله أيضا رسالة في هذا الغرض إلى الشيخ أبي عبد الله الحسين بن يحيى جاء فيها: " كتابي أطال الله بقاء الشيخ، وللشيخ لذة في السب والعتب، وطبيعة في العنف والعسف فإذا أعوزه من يغضب عليه، فأنا بين يده، وإذا لم يجد من يصونه، فأنا زبونه، والولد عبد ليست له قيمة، والظفر به غنيمة، والوالد مولى أحسن أم أساء، فليفعل ما شاء لا يعدمه الله مني حسدا لا يتألم بالضرب... لكني أجد للمناظرة، صفة المنافرة، وللمنافرة شكل المناكرة فلا أطأ عتبة بينها وبين العقوق منزلة، ولا أرد شرعة بينها وبين الفسوق مرحلة فلا ألقاه بأبر من التوبة إن كنت فعلت والعفو إن كنت قلت، فهذا أشبه بالبنوة وأخرى مع الأبوة"[1].

فهذا الذي جاء في الرسالة لون أشد وأعنف، فهو عتاب مصحوب بتوبيخ وتقريع،فهي رسالة عنيفة البداية يستهلها البديع بالتوبيخ به في قوله: " وللشيخ لذة في السب والعتب، وطبيعة في العنف والعسف". ويستطرد ناسخا على ذلك المنوال: هنيئا مااستحل من عرضي وأكلن لحمي، ثم ينتقل البديع، شأنه غالب الأحيان إلى جانب الهدوء واللينولكن رويدا رويدا، ولعله بذلك أراده أن لا يجعلها قطيعة بينه وبين الشيخ، بل يترك الحل موصولا والعقد منظوما،والعلائق جارية، والمودة صافية، ولكنه لا يترك لنفسه ثأراّ إلا أخذه، أوأهانت لحقت به إلا مسحها بحد القلم، لا بحد السيف وبسن اليراع لابسن الرمح[2].

قد أجاد البديع كل الإجادة وهو يحسن توجيه الحديث بالقدر الذي يتلاءم مع من وقع عليه العتاب، وهذا الأخير يعتبر فنا رقيقا متعلقا بعلاقات الناس بعضهم بعض، وهي علاقات تنبع من الوجدان وتتبلور في القلوب، ومن هنا كان العتاب فنا وجدانيا خالصا[3].

5) الشكوى

كتب بديع الزمان مجموعة من الرسائل في غرض الشكوى، فقد تناوله من مختلف جوانبه ومما يدور في هذا الباب رسالة كتبها يشكو فيها حاله في قوله: "كتابي وقد توسط الشباب وتطرقت الشيب وقبضت من أثر الزمان ونظرت في عقب الأمور...عددت من سني

[1] – رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص129،128.

[2] – الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص207،206

[3] – مرجع سابق، ص207.

خمسا وعشرين وما عدت أشهرها حتى حلبت أشطرها ولا سلمت رسنها حتى استوفيت ثمنها... ولو رآني الأستاذ وأنا في قميص بأذنين، وقباء ضيق الردنين، وعمامة كقبة الحجاج وخف فاسد المزاج، أعلاه جراب وأسفله خراب، على بردون"[1].

يجسد البديع في هذه الرسالة مرارة الضعف الذي يستشعر هو الإنسان في نفسه أمام جبروت وقسوة الزمن والفقر والشقاء حيث تملكه نوع من الحزن و الكآبة واليأس، ولكن في "أسلوب لادع ظاهره الفكاهة الضاحكة وباطنه الألم المرير، وذلك عندما يصف وقميصه عباءته وعمامته وخفة الفاسد المزاج الذي أعلاه جراب وأسفله خراب"[2].

وفي رسالة أخرى كان يدور موضوعها حول شكوا الزمان يقول البديع: " ... يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك، وليست هذه بدارك، ولا السوق سوق متاعك،يئسة الكتب وما سقت الأقلام ومن نسقت، والمحابر وماسقت، و الأسجاع إذا اتسقت، واللوم ولا هذه العلوم ولقد صدق الشاعر إذ قال:

لا يصير الغلا جلدا ذكيا ناقدا في الأمور حتّى وحتّى

وعلى الشاعر أن يقول وعلى السامع القبول ولعمري لقد سمعت هذا البيت كما سمعه فلان، ولكنه وفقا لاعتقاده ملة، واتخاذه قبلة... فهو يصل إذا حجبت ويعطي إذا حرمت..."[3]

افتتح البديع هذه الرسالة بالنداء وكأنه يخاطب نفسه من خلال عبارة:" يا أبا الفضل"

حيث ينفي انتسابه لهذا الزمان وهذه الدار كذلك، فقد جسد فيها الحزن واليأس الذي ينتابه." وهو آسف كل الأسف لأنه خلق عالما أديبا في عالم كسدت فيه سوق الأدب ورخصت فيه بضاعة العلم، ويبكي سوء حظه الذي يلازمه في دنياه، وزمانه الذي عاش في حناياه محتسبا عند الله ذلكالعمر الذي قضاه في العلم والأدب".

[1]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائدالقصة العربية والمقالة الصحفية،ص 208

[2]– المرجع نفسه، ص208.

[3]– المرجع نفسه،ص210.

وفي رسالة أخرى كتبها البديع يصف فيها حال هراة ويشكو من ظلم وقع عليه في جباية الخراج قائلا:"...من هراة ولا هراة، فقد طحنتها المحن كما يطحن الدقيق، وقلبتها كما يقلب الرقيق، وبلعتها كما يبلع الريق، والحمد لله على المكروه والمحبوب،وصلواته على النبي وآله، وقد قدمت الشيخ الجليل سنين والله لا يضيع أجر المحسنين... واللهم كتبت هذا الكتاب حتى رأيت جاري يرهب،وجاريتي توهب ومالي يذهب...وأن الكلمة بهراة لمختلفة جدا كالضد لا يلائم ضدا... ومما أبث الشيخ الجليل أن مبلغ خراجي بهراة ألفان وعلى المخف من الجريان ثلاثة مدورة، بيض مقشرة، وعلى المثقل تسعة وعشرةوددت لو أمكن التبليغ بأقل من هذا فأفعل، ولكن أفواها فاغرة وأضراسا طاحنة، وعيالا وأذيالا الله وكيلهم وأنا ربهم وأكيلهم وأن أمكن تحويل هذا الخراج ببوشنج ليتوفر حقوق بيت المال، فتلك غاية الآمال"[1]. كان يدور موضوع هذه الرسالة حول اضطراب الأوضاع في هراة و شكوى البديع من الظلم الذي تعرض له، وانتشار الظلم في هذه المدينة، و استبداد و جور الحكام وانتشار الرذيلة، و النفوس الجائعة، ووقوع البلاء على العباد" فهو يذكر أن ماله يذهب و ضياعه تنهب، و معنى ذلك أنه قد صلحت حاله في آخر أيامه، و أصاب اليسار بعد الإعسار و الغنى بعد الفقر،و الشبع بعد الفاقة، و من هنا يتضح أن البديع قد تناول الشكوى فى أغراضها المختلفة من القول البليغ متعرضا لهذا الموضوع من جميع نواحيه فأجاد و أفاد و أسهب و أفاض و قد وسمت شخصيته الأدبية أقواله و رسائله"[2].

6) الهجاء

مما ورد في باب الهجاء ما كتب الهمذاني يهجو قوما حيث جاء فيه:"... فبيناهم في العطلة إخوان كما انتظم في السمط، و في العزلة أعوان كما انفرج المشط،حتى لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة، أو صك جعالة، فيعود عامر ودهم خرابا، و ينقلب شراب عهدهم سرابا،فما غلت أمورهم، حتى أسبلت ستورهم، و لا علت قدورهم، إلا خلت بدورهم...، و قصارى أحدهم من المجد أن بنصب تخته تحته...، و يقف غلامه أمامه...و

[1]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص212،213.

[2]– المرجع نفسه،ص213.

هذه صفة فاصلهم، ومنهم من يحتمل الود أيام خشكاره، حتى إذا أيسر جعل ميزانه وكيله...،فهو يجمع لحاث حياته، أو وارث مماته،يسلك في الغدر كل طريق، و يبيع بالدرهم ألف صديق"[1].

و الهجاء على هذه الصورة و إن بدا مألوفا من الشعراء إلا أنه يبدو شيئا جديدا من كاتب ناثر، هنا يأتي لنا البديع بصورة متعددة متتابعة متلاحقة يكاد يكون أغلبها نعتا بالبخل الشديد فضلا عن كثرة الكنايات اللطيفة و يمضي البديع في النيل منهم و هو يسف و يفحش و يأتي بما ينبو عن الذوق، و لكنه الهجاء، ويدفع الكاتب إلى استعمال السلاح المدمر المحطم، حيث يبدع في تصوير البخل مرة أخرى،فهذه الصور المتتابعة في المعنى تطبع القول في ذهن القارئ و تمكنه من فؤاد السامع حيث يشعر بلذتها رغم فحشها[2].

و في رسالة أخرى كتبها إلى الإمام سهل بن محمد يرد فيها على أقوال الخوارزمي و يهجوه بعدما حرر كتابا حمل فيه عليه حيث جاء فيها:" و كأنما حرر ذلك الكتاب من نسخة مخازيه، واستملاه من صحيفة خوازيه، فما ترك لنفسه عرضا لئيما، ولا عرضا بهيما إلا نحله كريما، و استباح منه حريما، و لا تصفح كتابه إلا حريم مباح و هو حريمه، و أديم مجتاح و هو أديمه،و كذا من أغمد فيه سيف الريبة، انسل منه لسان الغيبة، و من طحن عجانه، طعن لسانه،و من وارى سوأة أخيه صغيرا، اشتغل بعرض الكرام كبيرا...و كيف يضن بعرض أصدقائه، من لا يغار على نسائه، و كيف ينطح عن نسائه من يمسح بوجعائه...ثم يتحامى ذكر الفروج، من صبر على الزنوج، و عالج رمز العلوج، و لن يستطيع اللسان رياضة، من جعل بطنه... مخاضة، و لن يطيق في القول إصابة من جعل دبره للجدوع بمثابة"[3].

في هذه الرسالة هجاء فاحش لاذع و هو متعلق بوقف الهمذاني على أقوال الخوارزمي، فهو يصفه بكل صفات القبح، فالهجاء هنا هو السلاح الذي يسلب المهجو

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية،ص214،215.

[2]– المرجع نفسه، ص215.

[3]– المرجع نفسه،ص217،218.

الصفات الفاضلة، فالهجاء عند الهمذاني في هذه الرسالة ناتج عن عاطفة متفجرة متنمرة معتمدا في ذلك، على أقذع الألفاظ و أشنع السباب.

و في رسالة أخرى كتبها البديع يهجو رجلا اسمه عمار بن الحسن يقول فيها:" لا أجد لعمار مثلا إلا الغراب، لا يقع إلا مذموما غلى أي جنب وقع، و إن نحب فروعه النذير، و إن حبل فمشيه الأسير،وإنشحج فصوت الحمير، و إن أكل فدبر البعير،و إن سرق فبلغة الفقير، و كذلك عمار، إن حذفت عينه فالحين و إن حذفت ميمه فالشين... و إن استقصيته فالوجه العبوس، و إن صدقته بالطفر اللئيم، و إن كذبته فبالعقاب الأليم، و إن زرته فبالحجاب الثقيل، و إن لم تزره فبالعتاب الطويل"[1].

شبه البديع عمار بالغراب في حالاته المختلفة(من شؤم، وقبح، و منكر، و خسيس...) و هذا هجاء ساخر لا يخلو من طرافة و ظرف و فكاهة.

حيث كان يدور أول أمره على التعبير بوضاعة عن روح السخرية و طابع المزاح و الظرف،" و هذه الرسالة أقرب إلى الأحاجي التي اشتهر بها البديع منها إلى النثر المتين"[2].

7) العزاء و الرثاء

من فنون البديع البليغة رسائله في العزاء و الرثاء، حيث كتب البديع إلى أبي عامر عدنان الصبي يعزيه ببعض أقاربه حيث استهل رسالته ببيتين من الشعر، مع مراعاته اتساق الشعر مع المعنى و الموضوع، ثم يكمل رسالته بالنثر مثلما ورد سابق في مختلف الأغراض.

أما بالنسبة لموضوع الرسالة هو: " أن قوما شتموا بموت الفقيد و لذلك أفرد البديع على أن الموت حق و أنه لا يليق بإنسان أن يشمت بميت"[3] حيث يقول الهمذاني:" أحسن ما في الدهر عمومه بالنوائب، وخصوصه بالرغائب، فهو يدعو الجفلى إذا ساء و يختص بالنعمة إذا شاء، فلينظر الشامت فإذا كان أفلت، فله أن يشمت، ولينظر

[1]–الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية،ص219،218.

[2]– ينظر الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص219

[3]– ينظر الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص225،224.

الإنسان في الدهر وصروفه، والموت وصنوفه،.....، فإن كان العدم أصلا، والوجود فضلا، فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع حوائل الدهر ما ساء..."[1].

يلجأ البديع في هذه الرسالة إلى دفع الشماتة بالميت والحط من قدر الدنيا والإكبار لشأن الموت، المقدور الذي لا فرار منه، وأن مفارقة الحياة لا تستحق الشماتة فالموت من الحياة هو أصغر دلو بها وأقل خطوبها"[2]، وأنه مصير محتوم على جميع المخلوقات.

وفي رسالة أخرى هي رسالة عزاء كتبها إلى صديق له فقد عزيزا أورثه مالا:" وصلت رقعتك ياسيدي والمصائب لعمر الله كبير، وأنت بالجزع جدير، ولكنك بالصبر أجدر، والعزاء من الأعزة رشيد كأنه الغي، وقد مات الميت فليحي الحي، وأشدد على حالك بالخمس، وأنت اليوم غيرك بالأمس، قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك يضحك ويبكي لك، وقد مد لك بما لف بين سراه وسيره، وخلفك فقيرا إلى الله غنيا عن غيره، وسيعجم الشيطان عودك...، والعيش بين الأقداح والقداح ولولا الاستعمال، لما أريد المال: فإن اطعتهم اليوم في الشراب وغدا في الخراب، واليوم وأطربا للكأس وغدا وأحربا من الإفلاس، يا مولاي ذاك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا، ويسميه العاقل فقرا وذالك المسموع من الناس هو في الآذان زمر وفي الأبواب سمر، وإن لم يجد الشيطان مغمزا في عودك من هذا الوجه، رماك بآخرين يمثلون الفقر، حذا عينك، فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك،...، لا ولكن قصدا بين الطريقتين، وميلا عن الفريقين، لا منع ولا إسراف، والبخل فقر...، وللمروءة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر إذا قطعت وأن تكون إلى جانب التقدير، خير لك من أن تكون إلى جانب التبذير"[3].

كان موضوع هذه الرسالة يدور حول العزاء الجميل والنصح الثمين، حيث تحدث عن الصبر على مصيبة الموت والفقد والحزن ثم ينتقل بالتدرج " إلى النصح والإرشاد بطريقة أخاذة وأسلوب عذب ومعان غنية بالنصائح والخلق الكريم فهو يمنعه من الإسراف والمجون مصدر له هذه الحال، حال إخوان ومعاقرة الكأس، وبعد ذلك ينصح

1- رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني،ص131.

[2] -الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص231.

[3] - المرجع نفسه، ص226.

البديع بالابتعاد عن البخل والشح مضيفا على البخلاء صورا منفرة قبيحة متوعدا البخيل بخسران الدنيا والآخرة"[1]، ثم يختم رسالته بنصيحة قيمة وهي من الأشياء التي ترتبط بالجانب الأخلاقي للمرء علاقته الاجتماعية والأسرية وهي صلة الرحم.

وفي رسالة أخرى كتب البديع إلى ابن أخته يعزيه في أخ له يقول فيها: " كتابي وقد ورد كتابك وقد ضمنته من تظاهر نعم الله عليك وعلى أبويك فسكنت إلى ذلك من حالك، وسألت الله إبقاءك وان يرزقني لقاءك، وذكرت مصابك بأخيك فكأنما فتت عضدي، وطعنت في كبدي، فقد كنت متعضا بمكانه، والقدر جارا لشانه، وكذا المرء يدب، والقضاء يدمر، والآمال تنقسم، والآجال تبتسم، والله يجعله فرطا ولا يريني فيك سوءا أبدا، وأنت أيدك الله وارث عمره،وسداد ثغره ونعم العوض بقائك... وأبوك سيدي أيده الله وألهمه الجميل وهو الصبر وأتاه الجزيل وهو الأجر... وأنت يا ولدي ما دمت والعلم شأنك والمدرسة مكانك وإن قصرتُ ولا أخا لك، فغيري خالك، والسلام."[2].

كتب البديع هذه الرسائل موجها إياها إلى ابن أخته يواسيه في مصيبته في فقده أخيه، حيث يأمره بلزوم الرضا والتسليم له سبحانه بدون اضطراب ولا إزعاج والصب في حالة الفزع.

كما تناول في آخر الرسالة نصحه لابن أخته بالعلم والدراسة وإلا فهو بريء منه لأن البديع مفتون بالعلم والأدب.

8) الود والصداقة

كتب البديع رسائل مودة وحبة إلى أصدقائه أو ردود على رسائل وصلت إليه ولا يوجد ما هو جديد في رسائله إلا احتواؤها على كثير من الجمل المسجوعة، كما أن البديع اشتهر في كتابة الرسائل الإخوانية[3].

[1] – الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص227.

[2] – رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص152،151.

[3] – مرجع سابق، 232.

ومن هذه الرسائل رسالة كتبها البديع إلى اسماعيل بن الديواني حيث جاء فيها "ولا يزال يستخفني إلى الشيخ الأمير شوق ونزاع، لولا العوائق تطاع، فيذكرني طلوع الشمس محياه ونسيم السحر رياه، وعسى الله أن يجمعنا وإياه إنه على ذلك قدير، والمكارم أدام الله عز الشيخ كوامن في الأحرار، ككمون النار في الأحجار وكمون الماء في الأشجار ثم لا تقدح تلك النار، وينبط ذلك الماء بمثل هذه الأعمال السلطانية إنها تمكن اليد من بسطها وتعين الهمة على مرادها ومحال أن أحضى من الشيخ بحضوتي ويبلغ هو من الرفقة"[1].

يعبر البديع في هذه الرسالة عن شعور الشوق والحنين الذي ينتابه وتغلغل في أعماقه اتجاه الشيخ الأمير، مشبها إياه بطلوع الشمس ونسيم السحر، متمنيا أن يجمعه الله به، مع ذكر أن المكارم تبقى كامنة عند الأحرار، وهو يقصد بها الشيخ الأمير.

وفي رسالة أخرى كتبها إلى والده، فقد استهلها بجملة دعائية قصيرة ورد فيها بعد جملة" كتابي أطال الله بقاء الشيخ: وتواترت الأخبار من قبل أنه وارد لا محالة وتلقيت هذه الحالة بمقتضاها شكرا وصدفة، ثم ورد كتابه بأن الأمر في ذلك فتر، لعارض علة ذكر، فقسمت قلبي جزئين وما حال الواحد بين اثنين أحدهما يبكيه والآخر يشكيه وقلت العافية والزم الناحية ولم يردد كتابه بذكر السلامة وقد ما بين الجوانح من قلق وتحت الترائب من حرق، حتى أسمع بالسلامة أفضيت عليه وقد خرج القاضي أبو إبراهيم حاجا فإن رأى أو فعل، فمعه إذا قفل، وإن أبى وقعد فقد أقلته عما وعد، ولا يزعجني بعد بوعد والسلام"[2].

وهي رسالة بسيطة من غير تكليف وهي خطاب عادي موجه من ابن إلى أبيه في أمور بينهما حيث عبر فيها البديع عن قلقه على أبيه، وسبب ذلك وعده له بزيارته في رسالة أولى ولكن هذه الزيارة لم تتم حتى مضى وقت طويل وسمع البديع كلام الناس عن عدم زيارته لوالده فكتب له بهذه الرسالة"[3].

---

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص232.

[2]- رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص152.

[3]– ينظر. الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص234.

وهناك رسالة أخرى من نفس الغرض كتبها البديع إلى أبي الفتح ولد أبي طالب وقد افتتحها ببيت شعري ثم أكملها بالنثر وهي كما يلي:

" حث المطي فهذه نجد غلب الهوى وتطلع السعدُ"

وقد برح الشوق برحا، لا أستطيع له شرحا، وغلى الوجد غليا لا يرده صبر، ولا يسعه صدره.

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

فحيا الله طلعة الشيخ وبارك في مقدمه، بركة تعم من فرقه إلى قدمه، ووصل له الخيرات بهذه السفرة حتى تسفر له عن كل محبوب، وقد صحت السماء قليلا،، وصف الجو يسيرا، والحمد لله كثيرا، فليجعل اهتمامه أمامه، وليعد اعتزامه قدامه، وليفرج بين الخطى حتى يشفى علة، ويجلو ظلمة ويسد ثلمه ويؤنس، وهو بذلك يستوجب شكرا"

ويعود سبب استهلال هذه الرسالة بالبيت الشعري، أن البديع قد علم بنية الشيخ في السفر إلى هرات، وذلك أن الشعر أنسب لمقام هذا الشيخ، كما أن البيت الشعري زاد الرسالة رونقا وجمالا.

ثم يشرح البديع الشوق المبرح ويردف بيت آخر ، ثم يدعو البديع للشيخ بالبركة والخير والتوفيق، كما وصف له تحسن الأجواء وصفائها ليحثه ويشجعه على القدوم[1].

9) النصح والحكم

من أهم الرسائل التي كتبها بديع الزمان في هذا الغرض رسالة كتبها إلى أخيه ينصحه ويعنه " لا يكاد خيالك يغبني يوما، فما لكتابك لا يسرني يوما، وكما لا يعجب أباك أن تكون ابنه فقط، كذلك لا يعجبني أن تكون أخي فحسب، فهات واقفني بعذرك فيما أضعت من عمرك، علام أنفقت، وفيم أنفدت، وما الذي أفدت؟ واعلم أن للمرئ سهما من المكاره موفورا، ونصيبا من النصب مقدورا، هو لا بد لاقيه، فكن كأخيك لعل

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص234، 235.

أباك يوفيكما في صباك، فإن لم يضربك صغيرا، لم تعدم من يضربك كبيرا، وإن لم يتعبك الدهر مليا، وإن سئمت وأنت طفل، ندمت وأنت كهل وابدأ بالقرآن قبل كل محفوظ ثم بتفسيره، والله ولي تسييره، ولا تشغلك كتب اللغة عما رسمت لك، ففيها إضاعة الزمان ولاخير في لغة ليست في القرآن"[1].

حيث يدور موضوع هذه الرسالة حول مجموعة من النصائح التي ساقها البديع إلى أخيه بعد كثير من التجارب التي سقلته، " ودرايته بصواب الأمور، وليس ذلك بعزيز على بديع الزمان فقد هام في الآفاق واختلط بالناس من مختلف المقامات والمشارب"[2]

فالنصح في هذه الرسالة نابع من الروح الوجدانية، وأن الإنسان في هذه الدنيا معرض للمكاره، وأن لها نصيب مقدور، ويجب البعد عن المعاصي والذنوب والانفكاك منها بالتوبة والتوجه والإقبال على القرآن الكريم حفظا وتفسيرا.

وهذه الرسالة وجهها البديع إلى أخيه خوفا عليه من أن تلهيه الدنيا في صغر سنه فيندم في كبر سنه، فالبديع هنا كان الموجع والناصح لأنه كان العارف بأحواله حتى لا ينجوا منحاه في هذه الدنيا.

وفي رسالة أخرى دار موضوعها حول الآباء والأبناء، حيث بين البديع فيعا حق الآباء على أبنائهم، والحنان الذي ينبع من الوالد نحو الولد، وما يلقاه الوالد من حب واهتمام في صغر سنه، ويمنحه حسن التربية ويرعاه حق الرعاية، وأن الحيوان كذلك مثل الإنسان حيث عدد في هذه الرسالة مختلف العبادات التي أمرنا الله بها مثل (الصلاة الصيام، الزكاة) وهي من أركان الإسلام، كما أمره بمجموعة من الصفات الحميدة كالعفة، والصبر.

وقد ذكر في نهاية الرسالة " أن الولد إذا نما عوده لا يبادل أباه مقدار حبه ويكاد يحس نعمته عليه وتعلقه به وعطفه نحوه"

وقد جاءت هذه الرسالة كما يلي: " عظم الله تعالى على الأبناء حق الآباء لعلمه بأن الوالد يصبو إلى ولده حنينا، ولا يألو حنينا، ويشمه وليدا، ويقلبه رضيعا، ويغذيه فطيما، ويربيه غلاما، ويؤديه ناشئا، ويعلمه يافعا، علما يظنه نافعا، ويبيحه ذخيرة

[1]– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص 274، 275.

[2]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص239.

وحياته، ويحتسبها عليه بعد وفائه، ويصدقه النصح في حالاته... إن الله فطر فطر ابن آدم على ضد ما أمره بالصلاة وخلقه كسلان، وبالصيام وجعله شهوان، وبالزكاة وحبب إليه المال، وبالحج وكره إليه الارتحال، وبالعفة وسلط عليه الهوى، وبالصبر ونزع منه القوى، وخلق الإنسان على حب ولده ونهاه عن ربيته وخلقه ليشق ذلك عليه، فالوالد يلتذ بما يتكلف من مبرة، والولد يفعل من بر مخالفا لما قدر عليه، غير ملتذ بها يسدي إلى أبويه"[1].

كما احتوت هذه الرسالة على كثير من الحكمة والعمق. أما الرسالة الأخرى التي نقوم بذكرها في هذا الغرض فهي رسالة كتبها البديع إلى الشيخ الوزير أبي العباس الفضل الاسفرائيني، متعلقا فيها بعرة الملوك، حيث صور فيها جوارهم تصويرا جميلا جاء نتيجة تجربة، كما أن عشرة الملوك في كل زمان ومكان يحوطها الشوك أحيانا وذلك من خلال قوله: "نهتا الحكماء أيد الله الشيخ عن عشرة الملاك، وقالوا إن الملوك إن خدمتهم ملوك، وإن لم تخدمهم أذلوك فإنهم يستعظمون في الثواب، رد الجواب، ويستقلون في العقاب، ضرب الرقاب وإنهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمة، فيبنون لها منارا ثم يوقدون لها نارا، ويعتقدونها ثارا"[2].

كما شبه البديع الملوك تشبيهين جميلين، فأما التشبيه الأول فبالشمس، حيث يكون الخير في الانتفاع بنورها ودفئها من بعيد فإذا ما تعرض لها الإنسان طويلا أصيب بضربتها التي قد تؤدي بحياته، وأما التشبيه الثاني فبالبحر، والبحر وإن كان يبدو هادئا وديعا في بعض الأحيان إلا أنه أكثر ما يكون هائجا ثائرا، وليس بين هدوئه وهياجه إنذار ولا بين وداعته وثورته فترة انتظارها، طالما هاج بعد صفو وثار بعد هدوء، فيصيب الراكبين على متنه بالدوار ثم البوار.

وهذه الصفات موجودة في بعض الملوك صورها البديع بحكمة ناتجة عن تجربة ومعاشرة"[3].

---

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص 240.

[2]–المرجع نفسه، ص241.

[3]- المرجع نفسه، ص241.

10) الوصف

وفي هذا الباب كتب الهمذاني العديد من الرسائل، ومن بين هذه الأخيرة رسالة كتبها يذكر فيها جرجان يصف ملكها قابوس بن وشمكير.

حيث يصف الهمذاني الملك ويشبهه تارة بالسماء إذا كساها الغيم، وتارة أخرى بالبحر إذا تغره لونه يشرب صفوه.

فقد يظن ظان أن هذه الرسالة أنشئت في الهجاء وهي تبدو كذلك، ولو أن الواقع غير ذلك، فهي وصف دقيق لملك سفاح أو ظالم أرعن، وبدبع الزمان هنا ليس هاجيا وإنما واصف حال ذلك الملك مصورا أخلاقه، كما ورد في قوله:" وقد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماء إذا تغيم لم يرجو صحوه، وبحرّ إذا لم يشرب صفوه، وملك إذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والسخط عرجة، كما ليس بين غضبه والسيف فرجة، وليس من وراء سخطه مجاز كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز... ومراده بين الظهور والكمون، وأمره بين الكاف والنون، ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب، ولا يهتدي من التأنيب إلا لإزالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم"[1].

كما اعتمد البديع على مجموعة من الجمل المسجوعة المتتالية المنسقة في المعنى، من أجل ايصال الفكرة على المعنى وتجسيدها في قالب مفهوم في الذهن.(وتكفيه الجناية وهي إرجاف ثم لا تشفيه العقوبة وهي إجحاف وغيرها).

كما أن البديع قد حلل خلق الملك تحليلا دقيقا واضحا، حيث ربط بطشه بكل أعضاء جسمه من أذنيه وعينيه ويديه[2].

ومن خلال ماورد في الرسالة نجد أن البديع قد بالغ في وصف قسوة وبطش الملك. أما رسالة أخرى فقد كتبها في وصف المعارك والحروب والفتوح وقد كتبها البديع بهاضية التي أخضعها السلطان محمود، وهي رسالة طولية أطلق فيها البديع العنان لنفسه في الوصف، حيث استهلها بوصف السلطان محمود بأجمل الصفات كما عظم قدره وضخم في قدراته، وأعطاه مكانة مقدسة ومرموقة، وذلك في قوله:" ولم ينطق

[1]- الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص244،243.

[2]– المرجع نفسه، ص244.

التاريخ بما كان، ولا الوحي بما يكون لأن الله تعالى خص أحدا من عباده ليس النبيين لما خص به الأمير السيد يمين الدولة وأمين الملة".

" ثم لم يجد قائل مقالا أن ملكا وإن علا أمره وعظم قدره، وكبر سلطانه وهبت ريحه"[1].

ثم يأتي بعدها إلى وصف الهند وكيف أسر طاغيتها، كما وصف سجستان "بالمدينة العذراء، والخطة العوراء والطيبة الغراء" وأخذ ملكها، ليأتي بعدها لفتح بهاضية التي تمتاز بصعوبة تضاريسها وتسلحها بالشوك والشجر، وقوة رجالها الذين شبههم بالجن ورغم ذلك فقد قتل رجالها، وغنم أموالها، وحطم أصنامها ونجد كل ذلك من خلال قوله:" ثم لم يلبث أن خاض البحر إلى بهاضية، والسيل والليل جنودها، والشوك والشجر سلاحها، والفيح والريح طريقها، والبحر والبر حصارها، والجن والإنس أنصارها، فقتل رجالها، وغنم أموالها وساق أفيالها، وضرب أصنامها، وهدم أعلامها..."[2].

لياتي بعدها إلى تقسيم أو تصنيف سيوف الأمير ضمن سيف الرسول – صلى الله عليه وسلم– أو سيوف الصحابة، أو سيف القصاص، وذكر دور سيفه في كل مكان كما ختف رسالته القرآنية 'الملائكة والروح"[3].

11) الشؤون العامة والصحافة القديمة:

أعطى بديع الزمان عناية خاصة واهتمام كبير بموضوع الكتابة بالشؤون العامة في وقت مبكر لم تكن فيه أذهان الحكام مهيئة لهذا اللون من النقد، منفردا به على غيره من كتاب عصره، وما يعانيه الناس فيه وكتب في شؤون الدولة من جميع المجالات لتنوير الحكام، وقد قرن كتابته بالنقد تارة وبالنصح والتوجيه تارة أخرى، كما أن البديع يعتبر الرائد الأوّل لفن المقالة الصحفية في اللغة العربية[4].

[1]– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص12،13.

[2]– المصدر نفسه، ص13.

[3]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص247.

[4]– المرجع نفسه، ص249، 250.

ومن أهم الرسائل التي كتبها البديع في هذا المجال نذكر رسالة وجهها إلى الشيخ السيد العالم بن أحمد يشكو من الضرائب المفروضة على الناس ويصور الغلاء والمجاعة وقد صور فيها لونا من الحياة العامة الشائعة في ذلك العصر بأحداثها الداخلية والحياة الاجتماعية وكيف كان الحكام لا يراعون الرحمة في فرض الضرائب تلو الضرائب،[1] وهذا من خلال قوله:"وقد علم الشيخ ما مني به أهل هراة من محن الخانية ثم ما أرهقهم من الحقوق الديوانية، ثم ما يزيد عليهم من علاوة المصادرة الحادثة".

كما يصور لنا كيف انتشرت المجاعة وارتفعت الأسعار حتى أكل الناس الجيف وتساقطوا صرعى في الشوارع بسبب الجوع كما ورد في قوله: " ثم ما كشف الأستار وأظهر العوار، وقبح النوار، من غلاء الأسعار، حقا لقد أكلت الجيفة وهي خائسة، وطحنت عظام الميتة وهي يابسة، وعدم القوت وثمنه موجود وتركت العبادات، وهجرت النياحات، وافردت الجنائن، وتخطى الموت وهم بالشوارع مطروحون"[2].

ثم ليختم رسالته بدعوة الناس إلى التعاون على البر والتقوى، ومن شدة السلطان أن يتعهد الناس بالطعام، لأن هذا هو واجبه ومسؤوليته وذلك في قوله ومن الواجب على السلطان أعز الله نصره في مثل هذا العام أن يتعهد الناس بالطعام ويتخول الرعية بالإنعام ويبذل فيها الرغائب ليؤمن الساكن ويتألف الغائب"[3].

وهذه الرسالة مقالة صحفية تهاجم الغلاء وتحارب التعسف في فرض الضرائب.

وهناك رسالة أخرى وجهها إلى الحاكم يصف الحال السيئة التي آلت إليها هرات حيث يقول في رسالته: " من هراة ولا هراة، فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق، وبلعتها كما يبلع الريق،والحمد لله على المكروه والمحبوب، والله ما كتب هذا الكتاب حتى رأيت جاري يرهب وجاريتي توهب ومالي يذهب، وضياعي تنهب، أكاري يضرب، ووكيلي يطلب، وإن الكلمة بهراة لمختلفة جدا كالضد لا يلائم ضدا فإذا صير إلي خدين كان أحدهما خدا أمرد والآخر صدفا أسود ولقد حدث بهراة رسوم غبرت ما تقدم

[1]– ينظر الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص252.

2– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص194.

[3]– مرجع سابق، ص252.

واستأنف ظلم يقطر الدم، لا أصبح إلا على باب يردم، وساكن يعدم، ولا أمسي على دار تهدم، ومخدومة تستخدم،في كل دار ديوان،وعلى كل باب أعوان،و في كل يد ميزان، و على كل أحد سلطان"[1].

و هذه الرسالة من الرسائل التي كتبها البديع في الشؤون العامة و بين من خلالها أنّ هراة قد طحنتها المحن، حيث شبهها بالدقيق الذي يطحن، كما استعان بعدة تشبيهات من أجل تقريب الصورة إلى الذهن، كما أنه يهف من خلالها إلى الصالح العام و الخاص مستعينا بقلمه و مكانته الأدبية الرفيعة حيث يقوم بتبسيط المشاكل ببلاغة و قوة بيان ووضوح معتمدا على اللين في بعض الأحيان و على الشدة و العنف في أحيان أخرى[2].

[1]– الشكعة مصطفى: بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية،ص254.

[2]– المرجع نفسه،ص254.

خاتمـــــــــــة

وفي آخر بحثنا هذا وبعد تطرقنا لموضوع : كتاب رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني دراسة تصنيفية موضوعاتية خلصنا إلى عدة نتائج أهمها :

1- أنّ فن الرسائل ظهر في العصر الجاهلي لكن بوتيرة قليلة جدا، ثم بدأ يتطور في عصر صدر الإسلام حيث كان للقدماء من النقاد والدارسين والبلاغيين اجتهاداتهم في دراسة الموروث الشعري والنثري، فقد كانت الرسائل بسيطة ومتشابهة ، ثم بدأت تتضح معالمه وتبرز كفن قائم بذاته في العصر الأموي مع ظهور الدواوين والتدوين، أمّا في العصر العباسي ابتعدت الرسائل في شكلها عن التصنع والزخرفة وطرأت عليها مصطلحات جديدة .

2- إمتازت الرسائل عند الهمذاني بأغراض متنوعة، لأنّه يخاطب فئات متفرقة من المجتمع كل حسب مكانته فمنها رسائل في غرض المدح ، ورسائل في غرض الهجاء ، ورسائل في غرض الرثاء ...وغيرها من الأغراض .

3- مرت الرسائل بعدة مراحل في تطوّرها وكانت أوّل بدرة لها في العصر الجاهلي .

4- لرسائل عدة أنواع وهي الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية والرسائل الأدبية .

5- تتمثل البنية النمودجية للرسائل من عدة أجزاء وعناصر وقد تعرضنا إلى أهمها وهي المقدمات ، صيغ الانتقال إلى أغراضها وخواتمها ، وأهم روافدها التراثية .

6- أجاد البديع وأبدع في فن الرسائل حيث اعتمد على البسطة في الموضوع ، وترديد المعنى الواحد بصور مختلفة.

7- بديع الزمان يعنى في رسائله بانتقاء الألفاظ الموسيقية العذبة الجرس كما حرص على توليد الصور المختلفة المتلاحقة المناسبة .

8- بديع الزمان كان كلفا بالمحسنات البديعية كالسجع والجناس والمقابلة والطباق ، فقد أمعنى في السجع كل الإمعان وهو يكثر منه إلى حد الإفراط واهتم به اهتماما كبيرا .

9- البديع كان أديبا موهوبا اشتهر بهذا الفن الرائع الذي دبجه قلمه الخصب وعبقريته الموهوبة .

10- الهمذاني كان مقلدا للقدماء وفي تناول مختلف الأغراض وهي موضوعات كانت مطروقة عند الجاهليين فقد تناولها على طريقتهم .

قائمـــة المصادر والمراجـــع

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

1– الثعالبي أبي منصور عبد الملك النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط1، 1983م، ج4 .

2– رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمداني .

3– القيرواني ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، دط، دت .

4– محمد علي التهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان الناشرون ،ط1، 1996م، ج1.

لسان العرب، ضبط نصه وعلق على حواشيه خالد رشيد القاضي، دار اديسوفت، بيروت – لبنان، ط1، 2006م .

المراجـع :

1– جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر – القاهرة، دط، 2012م .

2– حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 2011م .

3– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القدي، دار الجبل، بيروت– لبنان، دط دت .

4– الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، دت ج2

5– الزيات أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة دط دت.

6– سامي يوسف أبو زيد، الأدب العباسي النثر، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان ط1، 2001م.

7– سلامة هليل عيد الغريب، الرسائل الفنية في العصر المملوكي، الحامد للنشر والتوزيع عمان – الأردن، ط1، 2014م .

8- الشكعة مصطفى، بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، بيروت ط1، 1983م .

9- الشموط مهدي عواد، الرخاء في الشعر الأندلسي، دط، وزارة الثقافة، عمان – الأردن 2012م.

10- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط2 2002م .

11-الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، 2010م .

12- عبد الحليم حسين الهروط، النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ،ط1 ، 2013م.

13- عبد المجيد النوتي، الأدب الأموي تاريخه وقضاياه، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية 1992م .

14- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1991، ج1.

15- غازي طليمات ، الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه أعلامه فنونه، دار الإرشاد بحمص دمشق ، ط1، 1992م .

16- غانم جواد رضا الحسن، الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة العراق والمشرق الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط1، 2011م .

17- عصفور جابر، الصورة الفنية، ط3، المركز الثقافي العربي بيروت – الحمراء 1992م .

18- علي الغريب محمد الشناوي، النثر الأندلسي في عصر الموحدين، ط1، مكتبة الآداب القاهرة، 2009م .

19- الفريح هيفاء، تقنيات الوصف، ط1، النادي الأدبي والمركز الثقافي العربي، 2009م .

20- كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ط5، تر : عبد الحليم النجار، دار المعارف كورنيش النيل – القاهرة، 1919م .

21- محمود عبد الرحيم صالح ، فنون النثر في الأدب العباسي ، دار جرير للنشر والتوزيع ط1،2011م .

22- محمود رزق سليم، الأدب العربي في الأندلس، دط، مطبعة الاستقامة بشارع أمام الغلام رقم 14 بالحسين، القاهرة، 1945م .
23- محمد كامل حسين، أدب مصر الإسلامية، عصر الولاة، دط، دار الفكر العربي دت .
24- محمد مسعود جبران ، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، المضامين والخصائص الأسلوبية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م .
25- محمد هاشم عطية، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، ط3، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، 1936م .
26- مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان، دط، 2009م .
27- ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، دط ،1989م .
28- واضح الصمد، أدب صدر صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،1994 م.

ملخص

تناول موضوع البحث رسائل بديع الزمان الهمذاني دراسة تصنيقية موضوعاتية ،حيث اشتمل هذا البحث على مقدمة وحياة بديع الزمان الهمداني من مختلف الجوانب وأهم الأماكن التي سافر إليها .

أمّا الفصل الأّول تحدثنا فيه عن فن الرسائل وتعريفها لغة واصطلاحا، وعن نشأة الرسائل، ثم أهم أنواع الرسائل، ثم أهم أنواع الرسائل وبنيتها وأهم روافدها، أمّا الفصل الثاني فتعرضنا فيه إلى دراسة تصنيفية موضوعاتية لرسائل الهمذاني، وأنهينا البحث بخاتمة أجملنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة .

الكلمات المفتاحية :

الهمذاني – فن الرسائل – التصنيف – الموضوع .

Résumé

Le sujet de nos recherches portait sur des messages de badi3 zaman Elhamadani …car il comprenait une introduction et une vie d'Elhamadani sous divers aspects et les endroits les plus importants ou il sést rendu.

Dans le premier chapitre, nous avons parlé de l'art des messages et de leur définition du langage et de la terminologie, et sur les étapes de leurs origines, types et structure, les personnages les plus importants, dans le deuxième chapitre, nous avons parlé d'une étude taxonomique objective des messages d'AL Hamadani et nous avons terminé la recherche avec une conclusion dans laquelle nous avons parlé des résultats les plus importants obtenus dans cette étude

Les mots-clés: AL Hamadani- Art de Messages- Classification- objet.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	أ – ب
الفصل الأول: الهمذاني وفن الرسائل.....	37-7
المبحث الأول: الهمذاني وتعريف الرسائل.....	16-7
أولا: حياة الهمذاني.....	13-7
ثانيا: تعريف الرسائل.....	16-13
أ- لغة.....	15-13
ب- اصطلاحا.....	16-15
المبحث الثاني:نشأة الرسائل.....	25-16
أ – في العصر الجاهلي.....	18-16
ب- في العصر الإسلامي.....	20-19
جـ- في العصر الأموي.....	22-21
د- في العصر العباسي.....	25-23
المبحث الثالث:أنواع الرسائل.....	39-26
أ- الرسائل الديوانية.....	27-26
ب- الرسائل الإخوانية.....	29-27
جـ- الرسائل الأدبية	30
المبحث الرابع: بنية الرسائل والروافد التراثية فيها.....	37-30
أولا: بنية الرسائل.....	31-30
أ- بنية المقدمات.....	31
ب- صيغ الانتقال إلى أغراضه.....	31
جـ- بنية الخواتم.....	31
ثانيا: الروافد التراثية في الرسائل.....	37-31

أ- الرافد الديني.....	32
أ1- القرآن الكريم.....	33-32
أ2- الحديث الشريف.....	34-33
ب- الرافد الأدبي.....	34
ب1- الشعر.....	35-34
ب2- المثل والحكمة.....	35
جـ- الرافد التاريخي.....	37-36
الفصل الثاني: الدراسة التصنيفية الموضوعاتية لرسائل الهمذاني	90-41
المبحث الأول: الدراسة التصنيفية.....	66-41
أولا- المدح.....	44-41
ثانيا- الكدية والاستجداء.....	45-44
ثالثا- الاعتذار والاستعطاف.....	47-45
رابعا- العتاب.....	50-47
خامسا-الشكوى	51-50
سادسا- الهجاء.....	56-52
سابعا- العزاء والرثاء.....	59-56
ثامنا- الود والصداقة.....	61-59
تاسعا- النصح والحكم.....	63-61
عاشرا- الوصف.....	65-63
إحدة شر- الشؤون العامة والصحافة القديمة.....	66
المبحث الثاني:الدراسة الموضوعاتية.....	90-67
1- المدح.....	69-67
2- الكدية والاستجداء.....	71-69
3- الاعتذار والاستعطاف.....	74-72
4- العتاب.....	76-74

5- الشكوى	78-76
6- الهجاء.....	80-78
7- العزاء والرثاء	82-80
8- الود والصداقة.....	84-82
9- النصح والحكم.....	86-84
10- الوصف.....	88-87
11- الشؤون العامة والصحافة القديمة.....	90-88
خاتمة.....	92
قائمة المصادر والمراجع.....	96-94
ملخص باللغة العربية	98
ملخص باللغة الفرنسية.....	99
فهرس الموضوعات.....	102-101